الشبهة

حقيقتها، وأسسها، وكيفية الرد عليها



الشيخ ليث العتابي

مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة

الشبهـة

حقيقتها، وأسسها، وكيفية الرد عليها

تأليف

الشيخ ليث العتابي

مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مـن أهداف مركز عين:

المقدمة

إن من أهم أسس فهم النظريات؛ هو معرفة حقيقتها ومنهجيتها وكيفية عملها، إذ ان ذلك سيزيل الكثير من اللبس والغموض الذي يحيط بها.

أما لو أردنا الكلام عن (الشبهة) بما هي شبهة؛ فالكلام له حيثيات ستختلف عما لو تكلمنا عن (الشبهة) باعتبار كونها (تحدياً) يهدد الكثير من النظريات، والعقائد، والأشخاص، والمؤسسات.

لكننا لو وضعنا مقياساً لقياس كثرة الشبهات من جانب، وشدتها من جانب آخر، فإننا سنجد ان الشبهات التي وجهت للأديان هي الأكثر والأشد على طول تاريخ البشرية جمعاء.

إن أساس إثارة الشبهات، وبث المغالطات؛ كان من (إبليس)؛ فهو أول من قاس قياساً باطلاً بهدف المغالطة وإثارة الشبهة، دفعه إلى ذلك (حب الأنا)، و(المنافسة على الصدارة)، و(الحسد)، و(البغض).

نعم، لقد كثرت الكتب الهادفة إلى (رد الشبهات) بمختلف

صورها، إلا ان الجامع المشترك بينها في الأكثر ان لم نقل الكل هو؛ عدم توضيح حقيقة (الشبهة)، وعدم بيان أسسها، ولا كيفية معرفتها، وعدم توضيح كيفية الرد عليها، إذ ان الشبهات ليست كلها على مستوى واحد، وليس لها مقياس واحد، ولا يمكن اتخاذ طريقة رد واحدة في التصدي لكل الشبهات جميعاً.

إن تطور أدوات الإعلام، وسيطرة (العالم الافتراضي) على أذهان البشر قد سهل كثيراً التحكم بعواطفهم، وتوجيههم بأسهل الطرق كأنهم (روبوتات) مسيرة، أو كائنات (مسرنمة)، وتلك هي الحرب الحديثة التي تحاكي (العقل الباطن) قبل غيره، لتوجه البشر إلى حيث تريد (الحكومة العالمية الخفية!).

وسط كل إرهاصات التشاؤم تبرز عبقات التفاؤل منتشرة رغم كل الروائح الكريهة، ذلك ان الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا سدى، ولن يتركنا سدى، ومن حكمته عز وجل ان جعل أبواب الرحمة وطرق النور واضحة وكثيرة وموجودة لكل من يريد السير فيها أو يقرر التوجه إليها، فلا سيطرة للشياطين ما لم ينعدم وجود آخر ملك من الملائكة.

إننا في هذا الكتاب الذي يتناول (الشبهة) من حيث الحقيقة، والأسس، وكيفية الرد عليها، سنبين كل ذلك وبأسهل الطرق

وأخصرها، وبطرحٍ علمي مبسط، سائلين المولى عز وجل ان يوفقنا لما به الخير والصلاح، انه سميع الدعاء.

والحمد لله رب العالمين

المؤلف

١٤٣٩ هجري

النجف الأشرف

القسم الأول

الشبهة لغة واصطلاحاً

الشبهة لغة:

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): شبه: الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُ على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً. يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه، والشَّبَه من الجواهر: الذي يشبه الذهب؛ والُمشَبّهاَت من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشْكلا[1].

قال الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ): الشّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية، كاللون والطعم، وكالعدالة والظلم، والشبهة: هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه؛ عيناً كان أو معنى[2].

قال ابن منظور (ت٧١١هـ): شبه: الشّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمع أشْباهٌ. وأشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله. وفي المثل: من اشبه أباه فما ظلم[3].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص٥٢٦.

(٢) المفردات، الراغب الاصفهاني، ص٤٤٣.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، المجلد الأول، ص ١٩٧٠.

الشبهة في الاصطلاح:

أما الشبهة في الاصطلاح فهي: شيء ملتبس مختلط يربك العقل ويعمي الحق ويفتن المرء عن المقصد الصحيح.

أو هي: كل ما يثير الشك والارتياب، لمشابهته للحق.

لذلك قال الإمام عليه السلام: ((وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ))[1].

إن للشبهة مصطلحات أخرى مشابهة ومشاكلة لها في الغاية أو الهدف أو التأثير هي: (البدعة، الفتنة، الريب، الشك، البغي، الإفك، البهتان، الإثم، الخرص والتخرص، الاختلاق، الفرية والافتراء، الإرجاف والأراجيف، الانتحال).

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يحذر من الشبهات

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أيها الناس حلالي حلال إلى يوم القيامة، وحرامي حرام إلى يوم القيامة، ألا وقد بينهما الله عز وجل في الكتاب، وبينتها في سيرتي وسنتي، وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي، من تركها صلح له أمر دينه، وصلحت له مروته وعرضه، ومن تلبس بها ووقع فيها واتبعها كان كمن رعى غنمة

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٣٨.

قرب الحمى، ومن رعى ماشيته قرب الحمى نازعته نفسه ان يرعاها في الحمى، ألا وان لكل ملكٍ حمى، ألا وان حمى الله عز وجل محارمه، فتوقوا حمى الله ومحارمه))[1].

إن رسول الله ﷺ يحذرنا من (الشبهات) ومن (البدع)؛ التي يثيرها (أتباع الشيطان)، وقد وضح أسساً مهمة في هذا الحديث وهي:

١ـ ان حلاله ﷺ حلال، وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

٢ـ ان أمور الحلال والحرام واضحة بينة في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم).

٣ـ ان أمور الحلال والحرام وضحها ﷺ في سيرته وسنته.

٤ـ الشبهات والبدع من الشيطان، يلقيها على أتباعه الذين هم (أتباع الشيطان)، وهم بشرٌ عاديون يعيشون بين المجتمع في كل زمانٍ ومكان.

٥ـ من ترك (الشبهات) و(البدع) صلُحَ أمر دينه، وصلحت مرؤته، وصلح عرضه.

٦ـ من تلبس بالشبهات والبدع فقد وقع في المحذور وبالتالي

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢، ص٢٦٠.

وقع في الضلال وجزاء الضلال النار.

٧ـ إن حمى الله عز وجل هي محارمه، فمن الواجب التوقي والابتعاد عنها.

إن هذه أمورٌ سبعة يمكن لنا ـ عموماً ـ الاستفادة منها في قراءتنا لهذا الحديث المبارك وحده، أما لو ضممنا إليه أحاديث أخرى فستكون وستتكون لدينا منظومة متكاملة في السير والسلوك الصحيح، وفي تجنب الشبهات، بل وكل المحذورات والمنغصات.

الإمام علي (عليه السلام) يبين المراد بالشبهة

قال الإمام علي (عليه السلام) في خطبة له عن الشبهة والتعريف بها، والتحذير منها: ((وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللهِ فَدُعَاؤُهُمْ الضَّلالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمْى، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ))[1].

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يبين لنا المراد بالشبهة، فهي: مشابهة للحق، أي تشابهه، وبسبب هذه المشابهة ظنها البعض حقاً، وأخذها البعض على أنها الحق، ونادى بها البعض

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٣٨.

اعتقاداً بأنها الحق.

لكنه عليه السلام قد وضح اسس الوقاية منها لأولياء الله وهي:

١ـ اليقين: فقال عليه السلام: ((فأما أولياء الله فضياءهم فيها اليقين)).

٢ـ الهدى: إذ قال عليه السلام: ((ودليلهم سمت الهدى)).

كما وبين عليه السلام اسباب إتباع أعداء الله لها وهي:

١ـ الضلال: فقال عليه السلام: ((أما أعداء الله فدعاؤهم الضلال))، أي: ان من دعاهم لها هو (الضلال)؛ بمعنى كونهم على ضلال، ومن أهل الضلال.

٢ـ العمى: فقال عليه السلام: ((ودليلهم العمى)).

إن هذه الأسس التي وضعها أمير المؤمنين عليه السلام في تعريف الشبهة، ومن ثم توضيح أسس الوقاية منها عند أولياء الله تعالى، وبيان اسباب الوقوع فيها عند أعداء الله؛ هي من أرقى الأسس في فهم الشبهة وكل ما يتعلق بها، وبالتالي التوقي منها في كل زمانٍ ومكان.

الإمام الصادق (عليه السلام) والتحذير من الشبهة

قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة))[1].

إن هذا حديثٌ مباركٌ يوضح توضيحاً بلاغياً حال الشبهة وصاحبها، ويصوره بمن كان على حافة جبل، أو على حافة الهاوية، في تصويرٍ ان من لم ولن يتوقف ويوقف حركته عند الجرف العالي؛ فإنه سيقع إلى الوادي السحيق، وسيهلك يقيناً.

يريد الإمام الصادق عليه السلام في هذا الحديث منا ان نتوقف عن الخوض في الشبهات أولاً وبالذات، ومن ثم التوقف عن الخوض في الشبهات في حال عدم معرفة جوابها، بل التوقف عن إعطاء المجال لمن يلوكونها ويتشدقون بها؛ حتى لا يكون لهم شأن من جانب، وحتى لا تنتشر شبهاتهم من جانب ثاني، وحتى لا نضيع أوقاتنا معهم من جانب ثالث، وهذه تحذيرات مهمة جداً.

إن اقتحام الشبهة له عدة محاذير منها: إثارة العداوة، إعطاء الحيز لأصحابها، انتشارها، جرأة أصحابها على الشخوص والمقدسات، انقسام المجتمع، هزهزة إيمان الضعفاء، فتح جبهة داخلية، تضييع الوقت، الانشغال بها عن غيرها الأهم منها.

(١) المحاسن، البرقي، ج١، ص٣٤٠.

لذلك ـ وغيره ـ نجد المعصومين عليهم السلام من رسول الله ﷺ وإلى آخرهم كانوا يحذرون المجتمع من الشبهات، ومن أتباعها، ومن الانشغال بها؛ خوفاً على المجتمع عموماً، وعلى المجتمع المسلم بشكلٍ خاص.

السوفسطائية أو السفسطة

لقد ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد في اليونان القديمة جماعة تقول بمذهب الشك في كل شيء، حتى في وجودهم، وأخذوا يشيعون أفكارهم وعقائدهم الغريبة، وقد سيطر الفكر السفسطائي على الذهنية اليونانية ردحاً من الزمن، حتى تم القضاء عليه بعد ذلك من قبل الحكماء والعلماء الكبار، كسقراط وأفلاطون وأرسطو، حيث أظهروا المغالطات التي كانت تنطوي عليها أدلتهم، وتمكنوا من القضاء على وباء السفسطة، وتمكن أرسطو من خلال تدوين علم المنطق من تنظيم الفكر على الأسس الواقعية، وبرغم ذلك لم يمض وقت طويل حتى ظهر مذهب آخر باسم (اللاأدرية) على يد (بيرهون، ٢٧٥ ـ ٣٦٥م)، وتحول مذهب إنكار الواقع إلى مذهب الشك المطلق، إلا أن هذا المذهب لم يكتب له البقاء طويلاً، وسرعان ما دفن في مقابر التاريخ .وقد ظهر

مذهب التشكيك في الانبعاثة الغربية التي حدثت مؤخراً، متخذة هيئة علمية، وقد تجلت همم مجموعة من فلاسفة الغرب ـ بدلاً من رفع بناء الفلسفة الرصين ـ في تقويض هذا البناء ثانية، وكان كلّ ما أبدعوه هو الحديث بشك وترديد، وكما قال السيد فروغي: لم يبلغ إبداع الفلاسفة الإنجليز إلا أن حطموا صرح الفلسفة الرفيع الذي كان قائماً، دون أن يضيفوا شيئاً جديداً. لا جدال في كون الشك معبراً إلى اليقين، فما لم يشك الإنسان لا يصل إلى اليقين، إلا أن الشك إنما يكون مرغوباً فيه إذا كان قنطرة موصلة إلى اليقين، وأن يكون ممراً لا مقرّاً، ولكن للأسف الشديد يبدو أن الشك عند هذهِ الجماعة قد أضحى مقراً، ولم ينظروا إليه كممرّ.

إن السوفسطائية ، كلمة يونانية مشتقة من اللفظة سفسطة أو سوفيسما ، التي تعني الحكمة والحذق. وقد أطلقها الفلاسفة على الحكمة المموهة والحذاقة في الخطابة أو الفلسفة، كما أطلقت على كل فلسفة ضعيفة الأساس متهافتة المبادئ كفلسفة الريبية الشكية واللاادرية. والسوفسطائية حركة فلسفية غير متكاملة ضمن نظام، ظهرت في القرن الخامس قبل الميلادي، ومركزها أثينا، وهي فلسفة عملية تقوم على الإقناع لا على البرهان العلمي أو المنطقي، وعلى الإدراك الحسي والظن، وعلى استعمال قوة

الخطابة والبيان والبلاغة والحوار الخطابي، والقوانين الجدلية الكلامية بهدف الوصول إلى الإقناع بما يعتقد أنه الحقيقة، وبهذا المعنى أصبحت السوفسطائية عنواناً على المغالطة والجدل العقيم واللعب بالألفاظ وإخفاء الحقيقة، تعد السوفسطائية دعوة نسبية شكية وتمرداً على العلوم الطبيعية، فقد كانت في صميمها دعوة إلى الاقتصار في تفسير الكون على الظواهر وحدها، من دون الاستعانة بأي مبادئ خارجية أو عوالم أخرى، وكانت أيضاً دعوة ضد المدرسة الإيلية التي كانت تبحث عن الحقيقة خارج عالم الظواهر بوصفه عالماً وهمياً، فقد حولت السوفسطائية الفكر من الاهتمام بالطبيعة إلى الاهتمام بالإنسان، وقلبت أسسه، وغيّرت معاييره؛ إذ تركت الظواهر الخارجية جانباً وجعلت من الإنسان موضوعاً أساسياً للتفلسف والتفكير قبل الموضوعات الأخرى، فالإنسان الفرد هو معيار الحقيقة. لهذا اهتمت السوفسطائية بالمعرفة والذات والأخلاق ولم ينبثق السوفسطائيون (المغالطون) عن تيار فلسفي واحد، بل عن مدارس فلسفية مختلفة، وكان نعت (مغالط) أو سوفسطائي يعني وصمة الازدراء والطعن والنقد، بيد أن بعض الباحثين عدوا المغالطين الأُوَّل رجالاً أجلاء محترمين لهم كلمتهم المسموعة ورأيهم النافذ في وطنهم، أخذوا على عاتقهم عبء

تربية الأحداث وسعوا إلى تهيئة رجال الدولة. وكان من أشهر أعلام السوفسطائية: بروتاغوراس، وغورغياس، وهيباس، ويروديغوس، وبولوس.

لقد تميز منهج السوفسطائيين بالجدل البناء الذي يطرح الموضوع للبحث، بغية استنباط العيوب والحسنات والنتائج، وتقوم هذه الطريقة أساساً على مبدأ الشك، الشك في الموجودات وفي الوجود بالذات، والشك في القيم وفي الأخلاق، إضافة إلى التشكيك في السياسة، فلا حقيقة ثابتة مطلقة ولا خير مطلق، وصار الرأي أو الظن والتخمين معياراً للحقيقة، وهذا معنى عبارة بروتاغورس: الإنسان هو مقياس كل شيء.

لقد واجهت النزعة السوفسطائية هجوماً كبيراً، فيما يتصل بموقعها داخل التفكير الفلسفي العلمي، حيث عدّ أفلاطون وأرسطو الحركة السوفسطائية حركة هدم وتمويه، وضرباً من الجدل والتلاعب اللفظي، فهي بعيدة عن الحقيقة والفلسفة وغايتها الوصول إلى الإقناع تبعاً للطلب وحسب الحاجة، تباع فيه المعرفة وتشترى، فالسوفسطائي حسب رأي أفلاطون: صورة زائفة للفيلسوف، همّه الوحيد تعليم فن الخطابة وأخلاق النجاح والمتعة والمنفعة، وتأكيد الذات، وذلك للارتزاق واقتناص الناس من ذوي

الحب والمال.

اما هيغل فقد أعاد الاعتبار إلى هذه الحركة، فرفع من شأن الفلسفة السوفسطائية، كونها تمثل مرحلة أساسية من مراحل تطور الفلسفة اليونانية. ونظر أيضاً مؤرخو الفلسفة إلى السوفسطائية على أنها حركة ذات أهمية خاصة في تاريخ اليونان الروحي والحضاري، وفي تكوين الفكر الفلسفي الخلاق والإيجابي، وأنها، لم تكن حركة هدم بقصد الهدم المجرد، وإنما كانت حركة هدم لبناء من جديد لأنها كانت تعبر عن روح العصر، ومن بعده تأثر بها ديكارت، وفردريك نيتشه.

وعن السفسطة والمغالطة يقول الشيخ محمد رضا المظفر: (كل قياس نتيجته تكون نقضاً لوضع من الأوضاع يسمى باصطلاح المنطقيين "تبكيتاً" باعتبار أنه تبكيت لصاحب ذلك الوضع.

فإذا كانت مواده من اليقينيات قيل له: " تبكيت برهاني".

وإذا كانت من المشهورات والمسلمات قيل له: "تبكيت جدلي".

وإذا لم تكن مواده من اليقينيات ولا من المشهورات والمسلمات، أو كانت منها ولكن لم تكن صورة القياس صحيحة على حسب قوانينه، فلا بدّ ان يكون القياس حينئذٍ شبيهاً بالحق

واليقين أو شبيهاً بالمشهور مادة أو هيئة، فيلتبس أمره على المخاطب ويروج عليه ويكون عنده في معرض التسليم، لقصورٍ فيه أو غفلة، وإلا فلا يستحق ان يسمى قياساً.

وعلى هذا، فهو إن كان شبيهاً بالبرهان سُمي "سفسطائياً" وصناعته " سفسطة". وإن كان شبيهاً بالجدل سُمي " مشاغبياً" وصناعته " مشاغبة". وسبب كل من السفسطة والمشاغبة لا يخلو عن أحد شيئين: إما الغلط حقيقة من القائس، وإما تعمد تغليط الغير وإيقاعه في الغلط مع انتباهه إلى الغلط)(١).

أما (المصادرة على المطلوب) فهي: وضع القضية التي تريد البرهنة عليها في إحدى مقدمات الاستدلال بشكل صريح أو ضمني.

بذلك تُجعل النتيجة مقدمة، وتُجعل المشكلة حلًا، وتُجعل الدعوى دليلًا، وهذا ضرب من الحجة الدائرية، كقولك: الإنسان بشر، وكل بشر ضحاك، ينتج أن الإنسان ضحاك، فالكبرى ههنا والمطلوب شيء واحد، ومن أبسط صور المصادرة على المطلوب وأكثرها شيوعًا أن تجعل المقدمة صيغة أخرى من النتيجة المراد

---

(١) المنطق، محمد رضا المظفر، ج٣، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

البرهنة عليها.

نعم، قد يبدو للقارئ المبتدئ أن المصادرة على المطلوب هي مغالطة واضحة للعيان سهلة الانكشاف وليست بحاجة إلى دراسة وتحليل يختلق صعوبة حيث لا صعوبة، غير أن الأمر ليس دائمًا ببساطة الأمثلة السابقة، ومن العسير حقًا أن تصوغ حججًا منتجة لميول إيديولوجية أو التزامات انفعالية، وليس من المستغرب أن تكون أكثر الحجج بالمصادرة على المطلوب هي الحجج الإيديولوجية والأخلاقية، ذلك أن هذه الحجج تكون موجهة غالبًا إلى الشكاك، وأنها تتناول مجالات تفتقر بطبعها إلى قضايا واقعية يلمسها الجميع، فكثيرًا ما تكون الألفاظ المستخدمة في هذه الحجج هي ألفاظ مشحونة تختزن داخلها افتراضات خفية ونظريات تامة متكاملة.

البديهيات والمسلمات

إن الاستدلالُ الرياضي يقوم على العقل المجردِ، ويستند في ذلك إلى جملة من المبادئ العقلية؛ من أبرزها البديهيات والمسلَّمات، وهي قضايا أوليَّة نستند إليها للبرهنة على قضايا أخرى، فهي أساس الاستدلال، ولا تحتاج إلى استدلال آخر.

فالبديهيات تُعبر عن أشياء صحيحة بالبديهة، ونقوم بالتسليم على صحتها دون نقاش، أما المسلَّمات، فهي أيضًا أشياء نسلِّم بصحتها بالسليقة، دون إقامة البرهان على صحتها؛ بيد أنَّ الفارق بينهما أنَّ الشكوك التي تحومُ حول المسلَّمات مبررةٌ أكثرَ من التي قد تقوم حول البديهيات؛ بمعنى أن التشكيك في المسلَّمات أسهل من التشكيك في البديهيَّات.

والبديهيَّات تؤخذ بشكل أساسي على أنها صحيحة ولا تحتاج إلى إثبات، وهي تعتبر بديهية الصحة في بعض نظريات المعرفة - الأبستمولوجيات - فالبديهيات تمثِّل حقائق ذاتية الصحَّة تستند إليها بقيَّة المعارف.

كذلك فإنَّ البديهيَّة موجودةٌ أساسًا في نسيج العقل، أما المسلَّمة فهي من إنتاج العقل؛ فهو الذي ابتدعها بُغيةَ استعمالها وإدخالها في سلسلةٍ من المسائل والقضايا.

والأولى تكون عامَّة، أما الثانية فهي خاصة، فلكلِّ علمٍ مسلَّماته، بل قد تتعدَّد المسلمات في علم واحد؛ كما هو الحال في مجال الهندسة.

من جهةٍ أخرى؛ فإنَّ البديهيات تعتبر بمثابة المبادئ العقلية الأوليَّة، وبالتالي فهي سابقة على المسلَّمة التي لا ينبغي أن تتنافى

معها، لكن البديهية ليست كافية لتأسيس علمٍ ما؛ ولذلك فإن المسلَّمة مكملة لها باعتبارها قضايا أوليَّة في العلم.

في التمييز بين البديهيّات والمسلّمات:

إن شدَّة التشابه والتداخل التعريفي بين البديهيَّة والمسلَّمة جعل كثيرًا من العلماء لا يميِّزون بينهما في العصر الحديث، فانقسموا على ضوء ذلك إلى مدرستين:

١ـ المدرسة الإقليدية أو الكلاسيكية: حيث يذهب أنصارها إلى التمييز بين البديهيات والمسلَّمات، معتبرين في ذلك أنَّ البديهيات قضايا عامَّة يفرض صدقها، ولا يمكن مناقشتها ولا رفضها، فهي قضايا عامَّة تحمل الصدق؛ مثل بديهية: "الكل أكبر من الجزء"، فالضرورة التي تتميَّز بها البديهيات لا تتمتَّع بها المسلَّمات؛ لأنها فكرة خاصَّة، سلَّم بها الباحث الرياضي لأجل بناء برهانه، فهي أقل درجة عن البديهية.

٢ـ أما أنصار المدرسة المعاصرة أو اللاإقليدية، فيعتبرون أنَّ التميز بين البديهيات والمسلَّمات أمر ثانوي لا جدوى منه، وبالتالي تقبل هذه البديهيَّات والمسلَّمات بنفس الدرجة كمقدمات افتراضيَّة لبناء البرهان الرياضي.

ما بين الإسقاط والالتقاط

في هذا المبحث سنبين الفرق ما بين (الإسقاط)، و(الالتقاط)، وبالتالي معرفة كيف تبنى البعض لكليهما أو لأحدهما.

١ـ الإسقاط:

عُرف الإسقاط بأنه هو:(تفسير الأوضاع والمواقف والأحداث بتسليط خبراتنا ومشاعرنا عليها، والنظر إليها من خلال عملية انعكاس لما يدور داخل نفوسنا)[١].

وقد عُرف المنهج الإسقاطي بأنه هو: (إسقاط الواقع المعيش على الحوادث والوقائع التاريخية، إنه تصور الذات في الحدث، أو الواقعة التاريخية)[٢].

ويدخل فيه جميع الأفكار والقبليات الفكرية التي تلقي بظلالها لتكون رؤية منسجمة مع المكون الثقافي للشخص، في خلط نفسي وفكري واضح ينتج عنه تصورات شخصية بحتة قائمة على الانعكاسات النفسية الشخصية وليس على الحقائق العلمية والأدلة العملية الموجودة.

ويتولد ذلك بسبب(خضوع الباحث لهواه، وعدم استطاعته

---

(١) موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، ص٤٠.

(٢) مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن، حسن عزوزي، ص٣٣.

التخلص من الانطباعات التي تركتها لديه بيئته الثقافية المعينة)[1].

٢ـ الالتقاط:

أما الالتقاط فهو(انتقاء رؤية معينة من بين النظريات والآراء المطروحة في حقل من حقول المعرفة)[2].

فيكون الالتقاط هو: الاعتماد على بعض الآراء، أو بعض الأحداث، أو بعض النصوص، أو بعض الروايات، بهدف رسم رؤية على وفق ذلك البعض الملتقط.

فما بين (إسقاط) أو (التقاط) تجد أتباع الشبهات، وأصحاب البدع في كل زمانٍ ومكان يثيرون الشبهات وينشرون البدع من أجل إبعاد الناس عن إنسانيتهم، وعن أخلاقهم، وعن دينهم.

فإذا تجرد الإنسان عن إنسانيته وعن أخلاقه وعن دينه؛ فحينها لن يكون إنساناً مطلقاً، بل سيكون أسوء أنواع الدواب على الإطلاق.

إن علينا ان لا نتأثر بأصحاب المنهج (الإسقاطي)، ولا بأصحاب المنهج (الالتقاطي)؛ لأن كليهما على خطأ، وطريقهم إلى

(١) التراث والتجديد، حسن حنفي، ص٩٠.

(٢) الدين والافكار الالتقاطية، مقال، موقع الشيخ محمد تقي مصباح البزدي، www.mesbahyazdi.org.

ضلال لا محالة.

اعلموا ان للشبهات مقياساً

إن تحديد المقياس شيء مهم جداً في كل شيء، وبالخصوص في معرفة الحق ودفع الباطل، وفي جلب الخير ودفع الشر، وفي جذب النفع ودفع الضرر.

إنا شخصياً أتعجب من سماع شخص يقول بأن له نهج واحد وخاص في الإجابة على الشبهات، ذلك ان الشبهات أنواع، وان تنوعها يفرض وجود مقياس لها تقاس به.

لذلك كان من اللازم عليّ أن أبين الشبهات مع بيان مقياسها في عجالة من الكلمات لكي يتوضح المنهج في معرفة الشبهات، ومقياسها، وطريقة وأسلوب الرد عليها، ومقياسنا سيكون وفق نوع الرد، لذلك فإن الشبهات وفق ذلك ثلاثة هي:

- الشبهات التي لا بد ان يُسكت عنها:

وهي الشبهات التي فيها تعرض لشخص الشخص، أو لمؤسسة أو مركز أو دائرة من الدوائر تابعة له، وهنا السكوت عنها أولى لعدة اعتبارات منها: قد يكون في الرد تثبيت لها، وقد يكون في الرد ظهور لـ(الأنا) الشخصية، وقد يكون في الرد مدح وفخر ورياء

مفرط، وما شاكل ذلك.

فيكون السكوت عن مثل هكذا شبهات أفضل حل وأفضل رد عليها لكي تنتهي وتموت وتذهب إلى غير رجعة.

٢ـ الشبهات التي يرد عليها بأسلوب النقض والإبرام:

وهي الشبهات التي تثير العداوة تجاه جهة ما، أو دين ما، أو مذهب ما، أو عمل ما، أو وضعٍ ما.

فهذه الشبهات لا بدّ من الرد عليها بأسلوب (النقض والإبرام)، والذي يقتضي حلحلتها، وتفكيكها، ومنهجة مطالبها، ومن ثم البحث عن منطلق في الرد كأن يكون (المشتركات)، أو (وحدة المطلب)، أو (الجامع)، أو (الهدف الواحد).

وهذا النوع من الشبهات قد يحتاج في الرد عليه إلى وقت طويل جداً، ولربما سنوات أو عقود حتى تتضح النتيجة.

٣ـ الشبهات التي يجب التصدي لها بقوة وسرعة:

وهي الشبهات التي تمس الاعتقاد، والشبهات التي لو بقيت لتسببت بانحراف المجتمع، وانحراف الشباب، وهذه يجب التصدي لها بكل قوة، لأن التأني بشأنها سيسبب الضرر الذي سيكون كالخلية السرطانية التي يصعب ايقافها.

بعد ذلك نفهم ان الشبهات انواع، وان لها مقاييسها الخاصة

بها، فليست كل شبهة يسكت عنها، وليست كل شبهة يتعامل معها بأسلوب النقض والابرام، وليست كل شبهة يتصدى لها بقوة.

لذلك فإن علينا معرفة الشبهات، وانها شبهات حقيقية، ثم معرفة نوعها، ثم مقياسها، ثم التعامل معها وفق ذلك المقياس.

ما هو سبب كثرة الشبهات وقلة الردود؟

إن من اليقين ان لكل زمان ميزاته الخاصة به، ومن ميزات المجتمع المعرفي الذي توجد فيه فئات قليلة وهامشية ان تكون الردود على تشكيكاتهم أكثر وأقوى من شبهاتهم، لكن على العكس في المجتمعات غير المعرفية، أو المجتمعات المشغولة بغير المعرفة، فإن الشبهات تكون أكثر وأقوى من الردود، لذلك يتبادر السؤال حول اسباب ذلك.

إننا وفي الجواب عن السؤال نرصد عدة اسباب أدت إلى كثرة الشبهات من جانب، وإلى قلة الردود عليها من جانب آخر، وهي:

١ـ الابتعاد عن القرآن الكريم:

فالمجتمع الذي يدعي الإسلام ومع ذلك يبتعد عن مصدره الأساس سيكون ضعيفاً أمام أي شبهة تثار ضده، وبالخصوص

الشبهات التي تثار على القرآن الكريم، فكيف له ـ للمجتمع ـ ان يدافع عن كتاب لا يعرف عنه شيئاً سوى انه كتاب (للبركة) فقط؟!

فمع الابتعاد عن القرآن الكريم في (مؤسساتنا الدينية)، و(مؤسساتنا الأكاديمية)، و(المساجد)، و(الحسينيات)، و(المجتمع)، و(الأسرة)، و(الفرد)، فمن اليقين ان تثار الشبهات على القرآن الكريم ولن نستطيع الرد عليها، مع ان أكثرها شبهات واهية تعكس جهل القائل بها.

٢ـ الخلو من الذوق القرآني:

المفروض ان الذوق القرآني شيء موجود عند المسلمين جميعاً، وليس عند من يحفظ جميع آيات القرآن الكريم فقط، فلسان القرآن الكريم (عربي مبين)، وذوق القرآن الكريم (بلاغي)، وكلمات القرآن الكريم (شاعرية)، لذلك فمن المفروض ان هناك ذوقاً قرآنياً عند كل مسلم، ومع عدم وجود مثل هكذا ذوق فإن الشبهات سوف تأخذ مأخذها في الفرد والمجتمع.

ـ انعدام عوامل الجـ ـذب الداخلي:

إن في المجتمع قصصاً، وابطالاً، ومواقف، وصفات، وعلائم، وآثار، تثير الانتماء والذوبان والجذب غير المنفك عند أبناء ذلك المجتمع تصل إلى حد الاعتزاز والفخر به. هذه العوامل الجاذبة

هي التي تعتبر الرصيد (القومي)، و(الوطني)، و(الانتمائي) للمواطن في وطنه، وللمجتمع في ذلك الوطن. ومع وجود هكذا عوامل فإن أفراد المجتمع لن يجعلوا له بديلاً، بل هو سيكون جاذباً لغيرهم من مجتمعات وبلدان أخرى.

٤ـ وجود عوامل الجذب الخارجي:

إن من أسباب نفرة المواطن من وطنه وجود عومل تنفير داخلية، مع توفر عوامل جذب خارجية توجد في الخارج ولا توجد في بلده مثل: الحرية، واحترام الإنسان، والأمان، والعمل الوفير، وغير ذلك. فتوفر مثل هكذا عوامل في الخارج سوف تضعف الداخل يزيد فيها احترام الغير أكثر من أبناء البلد الأصليين، وتسلط الغير على أبناء البلد الأصليين، وحكم الأقليات للأكثرية في البلد.

إن إثارة عوامل الجذب الخارجية، والتنفير من عومل النفرة الداخلية أحد أهم أدوات (الحرب الناعمة) التي لا يفهمها الكثيرون.

عومل نشوء الشبهات

إن لنشوء الشبهات عدة عوامل منها:

١ـ الجهل والسذاجة، والتهاون في مسائل الدين:

قال تعالى: ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)) الزمر، (٩).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح))[١].

٢ـ النظرة الجزئية أو المشوهة للدين:

قال تعالى: ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))الأعراف، (٣٢).

أن ديننا الإسلامي لا يدعونا للاهتمام بالعبادة فقط دون أي شيء آخر، فهو لا يريدنا ان نكون من الدعاة إلى الرهبانية ، و الانزواء الاجتماعي ، و إهمال كافة المسؤوليات الإنسانية في المجتمع ، و بالتالي الركون إلى الصوامع ، و العيش في محيط منزوٍ عن المجتمع.

(١) غوالي اللئالي، ابن جمهور، ج٤، ص٧٦.

لابد أن نعلم إن الإنسان مخلوق اجتماعي ، و تكامله المادي و المعنوي مبتنٍ على هذا الأساس ، و ما جاءت به الأديان السماوية لا ينفي ولا ينافي دور الإنسان في المجتمع .

إن هناك فرقاً واضحاً و جلياً ما بين الزهد و الرهبانية ، فالزهد الإسلامي المراد به البساطة في الحياة ، و الابتعاد عن الكماليات ، و عدم الوقوع في أسر المال ، أما الرهبانية فتعني الانفصال و الغربة عن المجتمع.

٣ـ عدم فهم حقيقة السؤال:

ذلك ان هناك من يسأل عن الأمور المعضلة، أو يحوض في القضايا المحظورة، وذلك غير صحيح، وليس من الحكمة، وليس من العقل، وليس من الإنسانية ولا من التدين في شيء.

إن ابتكار السؤال أرقى من القدرة على الجواب، فالسؤال الواعي يعكس فكراً واعياً ، بينما الجواب سيعكس سعة اطلاع فقط.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((السؤال نصف العلم))[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((العلم خزائن، ومفاتيحه السؤال، فاسألوا رحمكم الله، فإنه يؤجر أربعة: السائل، والمتكلم، والمستمع،

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ج١٠، ص٢٣٨.

والمحب لهم))[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لسائلٍ سأله: ((سل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً، فإن الجاهل المتعلم شبيه بالعالم، وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل المتعنت))[2].

إن السؤال هو المهم . و الجواب يأتي تبعاً للسؤال و متفرعاً عنه، (وتلك هي أولى مفارقات العقل العربي اليوم . انه يجيب فقط و لا يحسن السؤال. قد يسأل و يسأل ، لكنه لا يسأل في الصميم ، و سهمه لا يصيب الهدف. انه لا يمتلك أسئلة حقيقية ، سوى أنه يتقمص أسئلة و يتقمص أجوبتها في أرقى نشاطه . كاد التقليد يكون قدره ، سواء أكان في مقام السائل أو في مقام المجيب. إنه بالنتيجة لا يملك فلسفة السؤال ، و بالتالي أنى له بفلسفة الجواب . ذلك لسبب بسيط ، هو أنه لم يستوعب حتى اليوم مأساته و انحطاطه . و تلك هي ثاني المفارقات التي ابتلي بها العقل العربي المعاصر)[3].

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ج١٠، ص١٣٣.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة (٣٢٠).

(٣) ما وراء المفاهيم ، إدريس هاني ، ص ٣٧.

في انواع السؤال :

إن للسؤال أنواعاً مهمة هي:

أولاً: سؤال يطرح لأن الإجابة مهمة ـ وهنا تكون الإجابة أهم من نفس السؤال.

ثانياً: سؤال يطرح لأن السؤال نفسه مهم ـ وهنا السؤال يكون أهم من الجواب.

ثالثاً: سؤال يطرح لأن عملية الطرح نفسها مهمة ـ وهنا اهتمام بالعملية لا بشيء آخر.

اعتبارات مهمة في السؤال:

كما و تتحكم بالسؤال عدة أمور تعتبر ركائز مهمة في هذه العملية المهمة هي :

أ ـ الوقت : فلا بد ان يكون وقت طرح السؤال ملائماً .

ب ـ المكان : بأن يكون مكان طرح السؤال ملائماً ايضاً .

جـ ـ الحالة : بأن تكون الحالة النفسية للمسؤول و للسائل مناسبة لتحمل السؤال أو لتحمل الجواب .

د ـ العدد أو الكمية : بأن يكون عدد الأسئلة مناسباً للزمان و المكان و ملائماً للظروف ساعة طرحها .

إن استراتيجيا السؤال تعتبر استراتيجيا مهمة ، فإن كان للسؤال

استراتيجيا معينة ، فلا بد ان يكون للجواب استراتيجيا معينة ايضاً .

ان الأسئلة المرتجلة ، و كذلك الأجوبة المرتجلة لن تعكس أي فهم ، و لن تصنع علماً ، و لن تصنع عالماً ، و لن تساهم في أي معرفة .

إن الخوف الزائد ، و استحضار كل الاحتمالات ساعة السؤال ستضيع الجواب ، و لن يكون الجواب حينها مفهوماً ، أو سيكون في غير محله .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ((إذا ازدحم الجواب خفي الصواب))[1] .

و ذلك من تشابه المعاني و تكثرها ، فلا يدري ايها الأوفق للسؤال ، إذ تزدحم الأجوبة في الذهن ، و يُتردد في اختيار ايها الأكثر ملائمة ، حتى تصل النوبة إلى اضاعة النطق بالجواب الصحيح ، أو الخلط بالنطق ، أو الخطأ في الإجابة .

السؤال يجب ان يكون جلياً واضحاً ، و كذلك الجواب إذ يجب ان يكون جلياً و واضحاً كذلك .

كما و نرجع لنقول : ان السؤال الواعي يعكس فكراً واعياً ،

(١) نهج البلاغة ، الحكمة ٢٤٠ .

بينما الجواب ـ مهما كان ـ فهو سيعكس سعة اطلاع فقط.

٤ـ إتباع الأهواء:

إن الهوى رأس كل بلية، وأساس كل انحراف، فحالة المزاجية لدى المنحرفين و الطواغيت و سائر الناس، و التي تنعكس على اتخاذ القرارات و المواقف هي نابعة عن الهوى و ما عند الإنسان من نزوات و شهوات.

(ويمكن بيان تأثير الهوى على عنصر التوحيد من خلال الإشارة إلى أن المدلول الاجتماعي للتوحيد هو مدلول انتماء الإنسان و البشرية ـ في علاقاتها وسلوكها ـ إلى محور واحد: وهو الله تعالى، ونلاحظ إن الإنسان من خلال مسيرته الاجتماعية في المراحل الفطرية تأثر بعدة قضايا، جعلته يتجه إلى الشرك)(١).

إن الكثير من الآيات القرآنية قد تحدثت عن أخطار الهوى و عواقبه الوخيمة، مضافاً إلى الأحاديث التي تحدثت عن الهوى وأخطاره.

قال رسول الله ﷺ : ((ما تحت ظل السماء من اله يعبد من دون الله من هوى متبع))(٢).

(١) المجتمع الإنساني في القران الكريم ، محمد باقر الحكيم ، ص ١٥٢ .

(٢) الدر المنثور ، ج٦، ص ٢٦١ .

وقال صلى الله عليه وآله :((إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه))[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ((الهوى اله معبود))[2].

وقال عليه السلام : ((الهوى شريك العمى))[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام : ((احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم))[4].

كيفية الرد على الشبهات

إن للشبهات كيفية في الرد عليها، وهنا سنتناول أشهر وأفضل الطرق في الرد على (الشبهة)، من دون التعرض لشرح أي فقرة من الفقرات أو خطوة من الخطوات المطروحة، وهي (أربعة عشر) فقرة أو خطوة، بل على القارئ البحث أكثر والتوسع أكثر ان أراد ذلك، وهذه الفقرات أو الخطوات تستخدم تباعاً وتدرجاً من أول فقرة أو خطوة حتى آخرها، ذلك أنها الخطوات المستخدمة في الرد على (الشبهة)، وكيفية التصدي لها، وهذه الخطوات أو

---

(١) سنن الدار مي ج١، ص ٤٠١.

(٢) غرر الحكم ، ٢٢١٧.

(٣) نهج البلاغة ، الكتاب ٣١.

(٤) الكافي ، الكليني ، ج ٢ ، ص ٣٣٥.

الفقرات هي:

١ـ التأكد من المقدمات الخاصة بالسؤال المطروح:

٢ـ النظر إلى أدلة السائل ومدى صحتها:

٣ـ التأكد من طبيعة وكيفية الاستدلال:

٤ـ تحديد الموطن مدار السؤال:

٥ـ تحديد نوع الشبهة وفي أي جنة هي، عقائدية أم فقهية أم غير ذلك:

٦ـ تحديد المستهدف في الشبهة وهل هو شخص، أم دين، أم عقيدة، أم غير ذلك:

٧ـ تحديد توجه صاحب السؤال وصاحب الشبهة وانتماءه:

٨ـ الاتفاق ما بين السائل والمسؤول على الأساسيات المطروحة في الشبهة أو السؤال خوف التشتت:

٩ـ تحديد مقياس الرد على الشبهة:

١٠ـ تحديد الأسلوب المناسب للرد على الشبة:

١١ـ تفنيد الشبهة يحتاج إلى ازالة كل مواطنها ومتعلقاتها نهائياً:

١٢ـ حسن الرد، وحسن الاستدلال، وعكس الاخلاق الحميدة حتى مع الخصم:

١٣ـ عدم جعل الشبهة مثلبة أو مورد تشهير بالآخرين:

١٤ـ في الرد على الراد ان يبحث عن موارد الالتقاء ويبتعد عن موارد الافتراق قد الامكان:

الشبهات الخفية والحرب الناعمة

إن الشبهات الخفية المؤثرة هي أحد أساليب الحرب الناعمة، والتي تعتبر أحد أنواع الحروب الحديثة، والشبهات الخفية في الحرب الناعمة تشابه (الشرك الأخفى) التي حذرت الأحاديث والروايات منه.

وعن الشرك الأخفى نقول:

قال الإمام الصادق عليه السلام : (إن الشرك أخفى من دبيب النمل)[١].

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي:(وأخفى منه القول باستقلال الأسباب و الركون أليها و هو شرك ، إلى أن ينتهي إلى ما لا ينجو منه إلا المخلصون و هو الغفلة عن الله و الالتفات إلى غير الله عزت ساحته ، فكل ذلك شرك)[٢].

---

(١) وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، ج ٥ ، ص ٩٩ .

(٢) تفسير الميزان . الطباطبائي ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

فمن الشرك الأخفى : تغيير الأشياء بالاعتقاد عما هي علية واقعا: روى بريد العجلي ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : سألته عن أدنى ما يكون به العبد مشركا ؟ قال: فقال عليه السلام : ((من قال للنواة أنها حصاة و للحصاة أنها نواة ثم دان به))[1] .

والاعتراض على الحكمة الإلهية، كما يصدر كثيرا على السنة عوام الناس عند التعرض لحادث معين مهما كان سواء كان الاعتراض قلبي أو لساني. فعن أبي عبد الله عليه السلام : ((لو أن قوما عبدوا الله وحده لا شريك له ، و أقاموا الصلاة ،و أتوا الزكاة ، و حجوا البيت ، و صاموا شهر رمضان ، ثم قالوا لشيء صنعه الله تعالى ، أو صنعه النبي "ص" ألا أصنع خلاف الذي صنع ، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين))[2] .

ومن ذلك قول الناس : لو أغناني الله لكان أفضل ، و لو فعل كذلك لكان الأصلح إلى غيرها من العبارات.

أما الحرب الناعمة فهي:

وهي تلك الحرب الصامتة، التي تؤثر دون أي ضجيج، والتي لا يسمع فيها أزيز قذائف المدافع ولا أصوات جنازير الدبابات،

---

(١) الكافي ، الكليني ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .

(٢) المحاسن ، البرقي ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

وهـي لا تخضـع للقـانون الـدولي الـذي يرعـى قواعـد الحـروب العسكرية ومفاوضات السلام والهدنة ووقف اطلاق النار[١].

إن الحرب الناعمـة هـي الشـكل الجديـد مـن الحـروب، هـي حرب قـد تغيـرت فيهـا المعـادلات، وأصـبحت الفضـائيات تعـادل الطـائرات الحربيـة وكـل اسـلحة الجـو، كمـا واصـبحت مواقـع وشـبكات الانترنيـت تعـادل الـدبابات والمـدرعات، كمـا وان المدارس والجامعات تعادل الثكنات والكليات العسكرية[٢].

إن للحرب الناعمة، أو بمعنـى أدق لـ(القوة الناعمـة)، خمسـة أركان هي[٣]:

١ـ القدرة على تشكيل تصـورات ومفـاهيم الآخـرين وتلـوين ثقافتهم وتوجيه سلوكياتهم.

٢ـ القدرة على تشكيل جدول الأعمال السياسي للآخرين سواء الأعداء أو المنافسين.

٣ـ القدرة في جاذبية النمـوذج والقـيم والسياسـات وصـدقيتها وشرعيتها بنظر الآخرين.

(١) ظ: الحرب الناعمة، مركز الحرب الناعمة للدراسات، ص٩.

(٢) ظ: الحرب الناعمة، مركز الحرب الناعمة للدراسات، ص١٢.

(٣) الحرب الناعمة، مصدر سابق، ص٥٨.

٤ـ القدرة على فرض استراتيجيات الاتصال على الآخرين (من يتصل أولاً وكيف).

٥ـ القدرة على تعميم رواية وسرد الوقائع (الفائز اليوم من تفوز روايته للأحداث).

إن الحرب الناعمة هي عبارة عن: استعمال القوة الناعمة عن طريق التأثير على العقائد، والقيم الأساسية للبلد أو المجتمع؛ لفرض الإرادة والهيمنة وسيطرة الأفكار والايديولوجيات.

إن الهدف في هذا النوع من التهديد هو تغيير الهوية الثقافية وتشويه صورة النظام الموجود في الأذهان. تعتمد الحرب الناعمة على الأساليب اللينة والناعمة وهي غير محسوسة وتدريجية، إذ يشتمل هذا النوع من الحرب على المجالات الاجتماعية المختلفة في البلد.

لقد أدرك الغرب عمق أزمته العسكرية والثقافية والاقتصادية وأحس بعجزه عن فرض سياساته بالقوة وتراجع مركزيته وظهور مراكز عديدة غير غربية كالصين واليابان فضلاً عن أن الجماهير وخصوصاً في بلدان العالم الثالث باتت أكثر صحوة، ونخبها أكثر حركية وصقلاً وفهماً لقواعد اللعبة الدولية. وأدرك كذلك أن تخلّف شعوب آسيا وأفريقيا يجعلها غير قادرة على الاستهلاك، ولا

يمكن استيعابها إلا بعد أن تتقدم لتصبح شبه متقدمة وشبه مستهلكة([1]).

لقد قرر الغرب اللجوء للإغراء والإغواء بدلاً من القمع والقسر، والاستفادة من التفكك لضرب التماسك الداخلي، إي أن التفكيك والالتفاف أجدى وأرخص من التدمير والمواجهة. وآليات الإغواء عديدة من بينها إيهام الآخر، أي أعضاء النخب المحلية الحاكمة التي تم تغريبها بأنها شريكة في عمليات الاستثمار ونهب الشعوب، كذلك يتم الإغواء للشعوب نفسها عن طريق وسائل الإعلام العالمية، وبيع أحلام الاستهلاك الوردية أو عن طريق النخب المحلية، يترافق ذلك مع عمليات فتح الحدود وتفكيك الدولة القومية وحلول المنظمات الدولية، وإثارة الأقليات ومشاكل الحدود، وتفكيك الأسرة باعتبارها الملجأ الأخير للإنسان، والحيز الذي يحقق المجتمع داخله استمرارية الهوية والمنظومة القيمية[2].

---

(١) ظ: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٧١.

(٢) ظ: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٧٢.

التحذير من أتباع السوء

إن أتباع السوء، أو أهل السوء؛ هم الناس السيئون، والذين يدعون إلى السوء أو يحرضون عليه؛ أما لإيمانهم به، أو لأن لهم نفعاً في ذلك، أو لغير ذلك من الأسباب الأخرى.

وعلى كل حال فإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومن بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام قد حذرونا من (أتباع السوء)، أو (أهل السوء)، في جملة من الأحاديث المباركة والتي منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من أرضى سلطانا بما يسخط الله خرج عن دين الله عز و جل))[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ((ألا فالحذر من طاعة ساداتكم و كبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم والقوا الهجينة على ربهم ، وجاحدو الله على ما صنع بهم))[2].

وقال عليه السلام : ((طاعة الله مفتاح كل سداد ، وصلاح كل فساد))[3].

كما وان هناك من يطيع في المعصية.

---

(١) عيون أخبار الرضا، القمي ، ج ٢ ، ص ٦٩.

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ .

(٣) غرر الحكم ٦٠١٢ .

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((من أطاع رجلا في معصية فقد عبده))[1].

وهناك من يطيع طاعة عمياء بلا هدى ولا كتاب مبين بل لمجرد الإتباع الباطل.

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فأن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وان كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس))[2].

وقال الأمام الصادق عليه السلام لرجل من أصحابه: ((لا تكونن إمعة، تقول: أنا مع الناس، وآنا كواحد من الناس))[3].

وهناك من يطيع أصحاب النظريات والفرق المنحرفة.

قال الأمام الصادق عليه السلام: ((احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم فإن الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله))[4].

وقال عليه السلام: ((بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم

---

(١) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٣٩٨.

(٢) عيون أخبار الرضا (ع)، للصدوق، ج ١، ص ٣٠٣.

(٣) معاني الأخبار، للصدوق، ص ٢٦٦،

(٤) الامالي، الطوسي، ص ٦٥٠.

أليهم المرجئة))[١].

من فرط أو أفرط في القرآن الكريم فقد ساهم في تفاقم الشبهات والفتن

١ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقران، فإنَّه شافع مشفع وما حلّ مصدق، من جعله أمامه قاده الى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيلٌ وبيانٌ وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليُجِلْ جال بصره، وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويتخلّص من نشب))[٢].

يبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما للقرآن الكريم من أهمية في حياة الأمة الإسلامية والفرد المسلم ان اتبع ذلك ووعى

---

(١) الكافي ، ج ٦ ، ص ٤٧ .

(٢) الكافي، الكليني، ج١، ص٥٩٢.

وفهم الحكمة من ذلك.

٢ـ قال الإمام علي عليه السلام: ((واعلموا أنّ هذا القران هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس القران أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدىً، أو نقصان في عمًى)).

٣ـ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): ((أَ لَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقِّ الْفَقِيهِ، مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَ لَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَ لَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَ لَمْ يَتْرُكِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَكُّرٌ))[١].

والسؤال الحقيقي ـ هنا ـ هو: (كيف يمكن لمن لا يتمتع بالكفاية العلمية، ولا يتقن مضامين القرآن ومفاهيمه كلها، أو بحسب قول مفسر القرآن ـ العلامة الطباطبائي ـ بدون أن يفتح المصحف، وإنما يعتمد على الفهم المبعثر لآيات الأحكام، أن يصل إلى درجة الاجتهاد والمرجعية)[٢].

كما وإن الجواب عن ذلك هو: ان(الاعتراف بدور القرآن

(١) الكافي، الكليني، ج١، ص٣٦.

(٢) فلسفة مرجعية القرآن المعرفية، نجف علي ميرزائي، ص٣٠ـ٣١.

المرجعي، يساعد العالم الديني في عبور التاريخ والوصول إلى الينابيع)[1].

(١) فلسفة مرجعية القرآن المعرفية، نجف علي ميرزائي، ص٥٨.

القسم الثاني

الأسس التي أعتمد عليها المستشرقون في قراءة ونقد التراث العربي الإسلامي

إننا لو رجعنا إلى الوراء لمعرفة الأسس التي اعتمد عليها المستشرقون في قراءة و فهم التراث (العربي ـ الإسلامي) لوجدناه يتمحور في ثلاثة أسس رئيسة هي[١] :

أولاً : الاعتماد على التراث الحديثي السني فقط .

لقد أعتمد المستشرقون في قراءة الإسلام على التراث السني فقط بكل ما به من أخطاء و تحريفات و وضع.

ثانياً : الاعتماد على تراث العصور الوسطى .

لقد أعتمد المستشرقون في فهم ماهية و حقيقة الإسلام على تراث العصور الوسطى الذي بنته العقلية الصليبية[٢] و روجت له

(١) ظ: نهج البلاغة في الدراسات الاستشراقية، ليث العتابي، ص٣٢.

(٢) فلقد بدأت أحداث الحركة الصليبية الفعلية ضد الإسلام سنة (١٠٩٥ ميلادي) بالخطبة التي ألقاها البابا (أوربان الثاني) (Urban 2) في جموع الجماهير المحتشدة في منطقة كليرمون جنوب فرنسا ، و كان هذا البابا ذا أصل يهودي ، فأرادها حرب إبادة للمسيحية و للإسلام على حدٍ سواء .

الكنيسة .

إذ (تعتبر الحروب الصليبية التي شنتها الكنيسة الكاثوليكية على المسلمين نقلة في العلاقات الإسلامية المسيحية ، و بالتالي في الكتابات التي نشرها المتولون لأمر الدعاية الكنسية...)[١]. و ذلك لأن (الكنيسة المسيحية...رأت في نهوض و تصاعد تعاليم محمد عقيدة منافسة ...)[٢] .

ثالثاً : الاعتماد على الكتابات غير الموضوعية للمستشرقين الأوائل

إن أكثر المستشرقين كتب لخدمة أهداف دينية و اقتصادية و استعمارية موجهة ضد الإسلام و المسلمين . بل كانت أهداف أكثرهم مقصودة ، و ذلك في سبيل الطعن و التشويه.

يقول الدكتور عبد الجبار ناجي عند تعرضه لكتابات المستشرقين حول سيرة النبي محمد ﷺ و الهدف منها : (... مع العلم بأن جميع هذه الدراسات أو في الأغلب الأعم احتوت على استنتاجات و تفسيرات غير منصفة بحق رسول الله ، أو بالأحرى

(١) نبوة محمد ﷺ في الفكر الأستشراقي المعاصر ، لخضر شايب ، ص ٤٥.

(٢) محمد و الفتوحات الإسلامية ، فرانشيسكو كبرييلي ، ص ٦٣.

حاقدة و مسيئة له...)[١] .

اسباب ودوافع الهجمة على الإسلام

لم يحظَ دينٌ قط بكثرة أعداء مِثل ما حظيَ بهِ الدينُ الإسلامي ، و لم يحظَ شخصٌ بكثرة المعادين و المحاربين بمثل ما حظي به شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله ، و لم تحظَ عائلة و أهل بيت بتقتيل و تشريد و محاربة على طول الزمان بمثل ما مُني به أهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله ، و عترته الطيبة الطاهرة في كل زمانٍ و مكان .

و نحن الآن نشهد هجمة معاصرة ضد نبي الإسلام صلى الله عليه وآله ، و ضد الإسلام و المسلمين في جميع أصقاع العالم ، إذ صار أسم الإسلام مقروناً بالإرهاب ، و بالقتل و السلب و النهب ، و روج بأن نبي الإسلام هو ذلك الرجل الذي لا يهتم إلا بالحروب و المغانم و النساء . و حاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يُتهم بمثل ذلك و هو القائل صلى الله عليه وآله : ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))[٢] دلالة على أن أخلاقه صلى الله عليه وآله هي أخلاق إلهية ربانية فهو صلى الله عليه وآله الذي قال عنه الله سبحانه

(١) التشيع و الاستشراق ، عبد الجبار ناجي ، ص ١١-١٢ .

(٢) بحار الأنوار ، المجلسي ، ج ١٦ ، ص ١٩٤ ، و العقد الفريد ، أبن عبد ربه الأندلسي ، ج ١ ، ص ٩٥ .

وتعالى: ((مَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى)) النجم، (٣ـ٤).

نعم، لقد شن اعداء الإسلام هجمةً من طعنٍ وتشويهٍ للإسلام ولكتاب الله العزيز وللنبي الأكرم ﷺ، ظهر جلياً واضحاً بما صدر من كتب حاقدة وكتابات مغرضة تمخض عنها تيار منحرف تمثل بكتاب (الآيات الشيطانية) لسليمان رشدي ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ وما شاكله من كتابات التيار المنحرف المنسلخ عن الإسلام ، أو المتلبس بعقد نفسية معينة، إضافة إلى ظهور رسومات كاريكاتيرية مسيئة للنبي ﷺ في الدنمارك وغيرها من الدول الأوربية التي ترفع شعار (الحرية) زوراً و بهتاناً.

اضافة إلى حرق القرآن الكريم في أمريكا[١] المنادية بالحرية و حقوق الإنسان ، أو جعله هدف للرمي من قبل مرتزقة الاحتلال الأمريكي في العراق و أفغانستان . كل ذلك يجعلنا نقف و نقول إن كل هذا لم يكن مصادفةً و لا اعتباطاً ، بل ما هي إلا هجمة منظمة و معدة مسبقاً هدفها القضاء على الإسلام نهائياً . ذلك لأن الإسلام بات مصدر قلق كبير للدول الكبرى و الدوائر الأستكبارية العالمية

(١) على يد القس المتطرف (تيري جونس) .

، إذ لا أحد يمكنه أن يقف بوجه طموحاتهم الاستعمارية و مخططاتهم الأستكبارية غير الإسلام (الإسلام الحقيقي و الأصيل) ، إسلام النبي محمد ﷺ و أهل بيته المعصومين عليهم السلام .

و بالعودة إلى الصراع الذي خاضه الدين الإسلامي حين نشؤه نقول : كانت الهجمة الشرسة و التي ابتدأت من أول يوم أعلن فيه النبي محمد ﷺ نبوته المباركة و دينه الإسلامي القويم ، فكان الصراع داخلياً و عن طريق المؤامرات الخفية و محاولات الغدر و الاغتيال ، و التشويه و الأذية و الصد و التعذيب و المحاصرة . و ما أن مَنَ الله سبحانه و تعالى على نبيه الأكرم ﷺ وعلى المسلمين بدولة إسلامية بقيادته ﷺ مقرها المدينة المنورة. حتى دخل إلى الصراع عنصر جديد محارب للإسلام ألا و هم (اليهود الصهاينة) ، فهم بخبثهم و دهائهم ، و شهرتهم بقتل الأنبياء و أبناء الأنبياء، كانوا السباقين في محاربة الإسلام و المسلمين ، و ذلك من خلال عقد التحالفات مع كل أعداء الإسلام لمحاربة الإسلام و إثارة النعرات ، و جمع التحشيدات، و تجييش الجيوش ، فكانوا أخطر و أخبث عنصر حارب الإسلام ، حتى كان من النبي الأكرم ﷺ أن طردهم من أماكنهم و ابعدهم عن مقر الدولة الإسلامية بسبب اثارتهم الفتن و القلاقل ، و لعدم اعترافهم بالإسلام

كدين سماوي رغم تصريح كتبهم بذلك .

أما بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقد كان لبروز ظاهرة (النفاق) الأثر الكبير على مسيرة الإسلام ، و المتمثلة بالعِداء الداخلي و المؤامرات الداخلية ، و خيانة مبادئ الإسلام من قِبل مُدعي الإسلام و معتنقيه خوفاً و طمعاً ، كالذي تمثل بأحداث السقيفة و قضية اغتصاب الخلافة وصولاً إلى تسلط معاوية و بني أمية ـ و هم أعداء الإسلام صراحة ـ على الأمة ليرجعوها إلى الجاهلية الجهلاء مرةً أخرى ، و يحاربوا الدين الإسلامي صراحةً ، و يخربوا منظومته المتكاملة عن طريق محاربة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله و تقتيلهم و تشريدهم ، و إتباع طريق الوضع و التحريف و اختراع الأحاديث و القصص التي لا أساس لها من الصحة بهدف تشويه الإسلام و شخص النبي صلى الله عليه وآله و رفع قدر و شأن بني أمية[1] و بالخصوص معاوية بن أبي سفيان[2] و إضفاء القدسية على شخصهِ .

---

(١) سلالة تولت الحكم من سنة (٤٠ هـ) و حتى (١٣٢ هـ) (٦٦١ ـ ٧٥٠ ميلادي) أولهم معاوية بن أبي سفيان ، و أخرهم مروان الثاني المعروف بمروان الحمار ، و هم بأجمعهم (١٤) حاكم ، قضى عليهم بنو العباس .

(٢) معاوية بن أبي سفيان الأموي (٢٠ ق . هـ ـ ٦٠ هـ) مؤسس الدولة الأموية ، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، طاغي من الطغاة و المحاربين للإسلام ،

فكثُر الوضع ، و كثُرت الأحاديث الموضوعة ، و فُسِرت آيات القرآن بِحسب المصلحة و بما يوافق الاتجاه السياسي و الاقتصادي[١] . فحصل إثر هذا التراكم أن تكونت منظومة حديثية ـ كتب أحاديث ـ أغلبها موضوع ، و منظومة في التفسير قائمة على الإسرائيليات التي لا أساس لها من الصحة . و التي أعطت المبرر لأعداء الإسلام أن يطعنوا به و دليلهم على ذلك (كتب الأحاديث) و (كتب التفسير) إذ هي التي تمثل تراث الإسلام . مما شكل خللاً واضحاً في التراث الإسلامي بسبب الاعتماد على كتب أحاديث معينة اعتمدت على مقولات السلاطين ، و أحاديث الواضعين حقداً و طمعاً ، و دسائس أهل الكتاب[٢] من إسرائيليات و خرافات و خزعبلات لا يتقبلها العقل السليم ، و لا تتقبلها الفطرة الإنسانية السليمة . كل هذا حفز أعداء الإسلام ان يبحثوا عن نقاط

قاتل الأمام علي (ع) ، ملعون على لسان النبي ﷺ ، و الأمام علي (ع) ، و باقي الأئمة (ع) ، و العلماء و الصلحاء ، يراجع كتاب (اللعن و السب بين الحقائق و الإدعاءات للمؤلف) .

(١) هنالك أساب عديدة لتزوير الحقائق و وضع الأحاديث منها : (سياسي ، و اقتصادي ، و اجتماعي ، و مناطقي ، و طائفي ، و مذهبي ، و قبلي ... الخ) .

(٢) كـ(كعب الأحبار) و من شاكله من أبناء جلدته ، و (أبن جريج) و غيرهم .

ضعف فيه ، و ان يفتشوا عن تهافتات يمكن من خلالها توجيه النقد للإسلام بكل رموزه و منظومته . فكان السِباق الحثيث و المحموم لمدارس الأستشراق[١] على دراسة التراث الإسلامي من أجل التعرف عليه و تشخيص مواطن القوة و الضعف فيه ، و بالتالي توجيه النقد إليه علناً ، مضافاً إلى اختراع النقائص و إلصاقها به ، و ابتداع المفتريات و رميهُ بها ، فكان ان برز أمثال :(لامنس[٢] ، و شبرنجر[٣] ، و جولدتسيهر[١] ، و مرجليوث[٢] ، و دانتي[٣] ، و

---

(١) و من الأنصاف أن نذكر أن هنالك جانب علمي و معرفي صرف في حركة الأستشراق ، لكن و لأن الأغلب أهدافه واضحة لذا تجد التخوف و الحذر من الكل شيء مطلوب .

(٢) هنري لامنس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧) مستشرق بلجيكي و راهب شديد التعصب ضد الإسلام ، يفتقر إلى النزاهة في البحث و الأمانة في النقل ، له : (مهد الإسلام ، مكة ، مدينة الطائف ، غربي الجزيرة العربية قبل الهجرة ، المعابد قبل الإسلام في غربي الجزيرة العربية ، القرآن و السنة كيف ألفت حياة محمد ، هل كان محمد أميناً ؟ ، فاطمة و بنات محمد ، الحكومة الثلاثية من أبي بكر و عمر و أبي عبيدة) ، بالغ في مؤلفاته في مدح الأمويين بدافع الحقد على الإسلام .

(٣) الويس شبرنجر (١٨١٣ ـ ١٨٩٣) مستشرق نمساوي الأصل ، انكليزي الجنسية ، له : (مختارات من المؤلفين العرب ، و تاريخ محمود الغزنوي ، و حياة محمد و تعاليمه ، و الجغرافيا القديمة للجزيرة العربية) ، و قد أشتمل كتابه (حياة محمد و تعاليمه) على أحكام مسبقة و تصورات زائفة و أمور مبالغ فيها و تناقضات عجيبة ،

كيمون[٤] ، و برنارد لويس[٥] ، و غيرهم) ، ممن يطول ذكره و لا يتسع له البحث ، ليكونوا المثال الحي و الحقيقي على العِداء المُعلن و الصريح للإسلام بكل منظومته .

لقد خَلقت الكنيسة من شخص النبي محمد ﷺ عدواً لها ، فوضعت له الصفات غير الجيدة ، و جعلت منه (المارد) الذي تُخوف به رعيتها ، و تمنعهم من الاقتراب منه ـ و لو على سبيل

تميز بالتحامل على النبي ﷺ و على الإسلام ، يحاول الحط من شأن النبي ﷺ و يرفع قدر أبي بكر و عمر على حساب النبي ﷺ .

(١) اجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠ ـ ١٩٢١ ميلادي) يهودي مجري ، أستاذ في كلية العلوم ببودابست ، له (اليهود) و (العقيدة و الشريعة في الإسلام) ، تميز بحقده على الإسلام .

(٢) دافيد صمويل مرجليوث (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠) مستشرق انكليزي تميز بكتاباته المغرضة ضد الإسلام ، له : (محمد و نشأة الإسلام ، الإسلام ، تطور الإسلام ، العلاقات بين العرب و اليهود .

(٣) دانتي الغييري (١٢٦٥ ـ ١٣٢١ م) شاعر ايطالي حاقد على الإسلام .

(٤) فهو القائل في كتابه باثولوجيا الإسلام : (إن الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس و أخذ يفتك بهم ...) الإسلام بين العلم و المدنية ، محمد عبده ، ص ٢٢ .

(٥) برنارد لويس : (١٩١٦ ـ ...) ، مستشرق يهودي بريطاني حاصل على الجنسية الأمريكية ، و من أكبر الحاقدين على الإسلام ، له (العرب في التاريخ) و (أصول الإسماعيلية).

معرفته ـ تحت شعار الخوف عليهم من هذا المارد ، و هي بالحقيقة لا تخاف إلا على مصالحها و هيبتها و كيانها ، خوفاً أن يتعرف رعيتها على الحقيقة ، و بالتالي يتثقفون بثقافة تتضارب مع مصالح الكنيسة و مصالح الايديولوجيا الحاكمة .لذا فقد تصدت و بكل قوة لذلك و استعملت من أجل مصالحها كل الوسائل الغير مشروعة و منها سلاح الكذب و الافتراء.

لقد اصبح مصطلح (الاستشراق) ـ عموماً ـ يدل على الحرب الموجهة للإسلام ، و أصبح الأستشراق أداة الاستعمار و أفضل دليل و مُعين له في حربهِ على البلاد العربية و الإسلامية حتى يومنا هذا ، و لقد تحولت بعض مدارس الأستشراق إلى مراكز استخباراتية ، و منظومات مخابراتية هدفها تدمير الإسلام و إضعاف المسلمين ، و نهب الثروات و المقدرات للشعوب المستضعفة و التوسع على حسابها . فـ(الحركة الاستشراقية تاريخياً ، و لاسيما في القرن العشرين قد شاطرت ـ شئنا أم أبينا ـ مع موجة السياسات الاستعمارية الأجنبية لبلادنا ، و صارت وجهاً أو واجهة ، و أحياناً مرآة نرى ـ نحن العرب و المسلمين ـ فيها " و بغضب عارم " تقسيم

فلسطين الحبيبة و منح الصهاينة ملاذاً في الأرض السليبة)[١] .

ذلـك ان (الأستشـراق يعتبـر الممثـل الثقـافي الأكثـر صـدقاً لموقف الغرب من الإسلام ـ و ثقافات العالم أجمع ـ وحضارته)[٢] .

اسباب الهجمة على الإسلام ونبيه الأكرم ﷺ

لقد كان العالم أجمع يغط في سبات عميق ، و ظلمات دامسة، و قضايا شوهت كل ما لديه من وعي و أثرت على تفكيره فجعلته يفهم كل شيءٍ بالمقلوب ، فلم يكن الحل في إنقاذ البشرية من هذا التيه و العمى إلا إرسال الأنبياء و المرسلين (عليهم السلام) منذرين ومبشرين بين يدي رحمة الله تعالى .

لكن البشرية لم تذعن و لم تؤمن و لم تسلم بذلك ، بل أبت إلا تجبراً و عناداً ، و شنت حربها ضد أنبياء الله تعالى و رسله ما بين تقتيل و تشريد و تعذيب ، و الحصيلة النهائية هي ؛ إن الذين أمنوا بالرسل و أطاعوا الله تعالى هم القلة المستضعفة ، في مقابل الكثرة المتسلطة و العاصية . بل وصل الحال بأن شُوهت الشرائع الإلهية ، و حُرفت الكتب السماوية ، و قيّد التيار الديني ـ و بالخصوص في

(١) التشيع و الأستشراق ، عبد الجبار ناجي ، ص ٦٩ـ٧٠ .

(٢) نبوة محمد ﷺ في الفكر الأستشراقي المعاصر ، لخضر شايب ، ص ٣١ .

اليهودية و المسيحية ـ من قبل أعداء الدين و محرفو الشرائع و الكتب السماوية .

حتى وصل الحال إلى خاتم الأنبياء و المرسلين و سيد الخلق أجمعين رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، و الذي كان انطلاقه من جزيرة العرب ، فصدح و نادى بدعوته ، و دعا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، و حارب عبادة الأصنام ، و نبذ جميع المحرمات و الآثام .

و لم يكن حاله عليه الصلاة و السلام بأفضل ممن سبقه من أنبياء الله تعالى ، إذ تصدى الطغاة لمحاربته ، و اجتمعت الأقوام على منابذته ، حتى وصل الحال به صلى الله عليه وآله أن قال : ((ما أوذي نبي مثل ما أوذيت))(١) .

لقد كان شعار دعوته (عليه الصلاة و السلام) ؛ هو تحرير الإنسان ، و السمو به إلى مراتب القرب الإلهي ، و نشر المساواة ، و إقامة العدل ، و جعل الإسلام دين البشرية جمعاء .

فقض هذا القول ، و أقلقت هذه الدعوة مضاجع المستكبرين ، و هزت عروش الظالمين ، فما كان منهم إلا أن

(١) كشف الغمة ، الأربلي ، ج ٢ ، ص ٥٣٧ .

يعلنوا الحرب عليه و على كل ما جاء به ﷺ ، فاجتمعت كل القوى لوضع الخطط و ترتيب المؤامرات لمحاربته ، و لمحاربة ما جاء به من دين ألا و هو (الإسلام) ، فكان الأعداء الخارجيين و بالتعاون مع المدسوسين ـ الذين يشكلون الخطر الأكبر على الإسلام ـ من الداخل يشكلون القوة المعدة و المجهزة لمحاربة الإسلام من اليوم الأول لظهوره و إلى آخر الدهر .

و اليوم و في هذا الزمان ظهرت لنا مشكلة العِداء الغربي للإسلام ، المشكلة التي لم و لن تنتهي بسلام أبداً ، لأن الغرب يُصِر على وصم الإسلام بـ(الإرهاب) ، و يصف المسلمين بالقتلة و المتخلفين . معتمداً في أقواله على ثقافة العصور الوسطى التي مهدت للحروب الصليبية ، و على مؤلفات المستشرقين من أبناء جلدته ، الذين كتبوا وفق عقليات مؤدلجة ، و بثوا للمجتمع الغربي أفكاراً مُعدة مسبقاً ، يعاونهم في ذلك ما في المنظومة الإسلامية من دس و تحريف و وضع قام به (المدسوسون) الذين حُسِبوا على الإسلام ظلماً و عدواناً .

ان حقيقة القول هو : انه نادراً ما يصدق الناس الحقائق لا سيما إذا تعارضت مع مصالحهم .

وفق ذلك سنعرف الكم الهائل و المعدل الرهيب من

الأكاذيب التي ساقها الكتاب الغربيون و الأوربيون حول النبي محمد ﷺ الذي اصبح من أكبر أعدائهم ، إذ كان الهجوم عليه هدفاً للإمبراطورية البيزنطية و أوربا على الصعيد الايديولوجي كما و على الصعيد الدعائي من قِبل المؤرخين الأوربيين المدعومين بعلماء الدين المسيحيين في البلاد الخاضعة لسيطرة المسلمين أمثال : (يوحنا الدمشقي ، و تيودور أبو قرة ، و إلياس ، و عبد المسيح الكندي ، و غيرهم) ، و قد تبعهم على نفس المنهج قساوسة أوربيون بدءً من القرن الثاني عشر الميلادي و حتى يومنا هذا .

لقد كانت الدعاية المغرضة قائمة على أساطير و أكاذيب جديدة لكُتاب لم يُعدموا الجهل بالأحداث التاريخية ، كما لم يُحرموا من موهبة تلفيق الأكاذيب . و كانت ثمرة هذه الدعاية هي ما اصطلح على تسميته منذ ثلاثة قرون في أوربا باسم (أسطورة محمد) .

ان هؤلاء الكُتاب رغم مظهريتهم العلمية و ادعائهم الموضوعية كانوا أكثر تشبعاً بالأحكام المسبقة دينية كانت أو قومية . ان مسؤوليتهم في هذا الصدد لأثقل ألف مرة من مسؤولية أسلافهم في القرون الماضية في أوربا و الذين لم يتوفر لديهم أي مرجع أصلي و مؤكد عما يبحثون عنه او عما تناولوه ، بينما كان

في متناول أيدي هؤلاء تقريباً كل المصادر القادرة على إرشادهم لمبتغاهم .

في الواقع ان دعوى الموضوعية عندهم هي جزئية و منهجهم الذي يسمونه نقدياً علمياً يتكشف عن سراب خادع لا حقيقة وراءه ابداً . و لذلك فقد حاولنا ان نكشف أخطائهم و ان ندحض أكاذيبهم و ان نقوم أحكامهم التي تقوم غالباً على احداث مغلوطة أو ناقصة ، و كل ذلك بهدف توصيل القارئ غير المسلم إلى ان يكون لديه عن الإسلام و شخصية مؤسسه مفهوم دقيق و عادل .

اسباب الهجمة على القرآن الكريم

إن القرآن الكريم، كتابٌ أنزله الله سبحانه وتعالى هدىً وبشرى بين يدي رحمته، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، مستنقذاً لهم من أهواء المضلين وفساد المفسدين وخداع المحرفين، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

فهو خاتم الكتب السماوية، والداعي إلى حقيقة الطاعة الإلهية، والمبشر بدينٍ عالمي واحدٍ هو (الإسلام).

قال تعالى: ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ

فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) آل عمران:١٩.

فإذا كان كذلك، فليس من المعقول أن يرضى المتسلطون بأن تنفى جميع سلطاتهم وان يكونوا سواسية كباقي أفراد المجتمع، ذلك أنّ كتاباً اسمه (القرآن) قال بذلك. بالتأكيد لا، والدليل على ذلك إن كانت حصة (القرآن الكريم) كبيرة جداً من الطعن التشويه والمحاربة بكل الطرق وبشتى الصور، وبجميع الإمكانيات المتاحة عندهم.

نعم، لقد كانت حصة القرآن الكريم من الطعونات الشيء الكثير، كونه دستور الإسلام الحقيقي وكتابه التشريعي الإلهي.

القرآن الكريم هو كتاب الخالق ومعجزته إلى خلقه نزله تعالى ليبين للناس ما اختلفوا فيه من أخبار، وتشريعات. فيه من الحكم والعبر والأمثال ما ينتفع به الناس إلى يوم القيامة كما وان فيه من الأسرار ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم.

قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)) آل عمران: ٧.

لقد سلك أعداء الإسلام طرق ومناهج متعددة ومتنوعة للطعن فيه؛ ذلك لأنهم يعلمون أنه دستور الإسلام، وأساسه، وأصله، ومنهجه، فالتشكيك فيه تشكيكٌ في أساس الدين الإسلامي، وبالتالي إضعافه، وصَرْف المسلمين عنه ـ فضلاً عن غيرهم ـ كونه الطريق السوي، والصراط المستقيم الذي أراده الله تعالى للبشرية جمعاء، هدى ورحمة ونجاة.

إنّ معظم المطاعن التي وجهت للقرآن الكريم كان سببها، العداء المباشر للدين الإسلامي، كل ذلك اعتماداً على ما لا يصح من الأخبار الواهية، والمختلقة الكاذبة، فجاء المستشرقون ليضيفوا إليها ما شاءت لهم أنفسهم أن يضيفوه، ممن هو من بنات أخيلتهم وصناعة أوهامهم، جمعتهم على ذلك راية واحدة ألا وهي: (العداء للإسلام).

يذكر محمد حسين هيكل[١] في كتابه (حياة محمد) وتحت عنوان (المستشرقون والمقررات الدينية): أن مباحث هؤلاء المستشرقين تريد الاستدلال على أن القرآن ليس وثيقة تاريخية لا محل لريبة فيها، بل يريدون أن يثبتوا بأن القرآن الكريم قد حُرِّف

(١) محمد حسين هيكل (١٨٨٨ – ١٩٥٦م) كاتب وسياسي مصري.

بعد وفاة النبي ﷺ، وفي صدر الإسلام، وأضيفت إليه أثناء ذلك آيات لأغراض دينية، أو سياسية[1].

لقد كان لأدوات (الحرب الناعمة)، دور كبير في إبعاد (المجتمع المسلم) عن أهم معين روحي موجود لديه وهو (القرآن الكريم)، ساعد على ذلك (التماهي)، و(الانبهار)، و(الشعور بالدونية) عند جملة من المجتمع، أنعش أوارها عوامل التنفير الداخلية، وعوامل الجذب الخارجية.

إن (خير أمة أخرجت للناس)، و(أمة اقرأ)، و(الأمة المرحومة)، و(أمة الدين الخاتم)، و(أمة النبي الخاتم)، و(أمة الكتاب السماوي الخاتم)، و(أمة العلم والقلم)، و(أمة تكريم الإنسان)، قد اصبحت في آخر ركب الأمم الأخرى، وأصبحت خارج التاريخ، وذلك لسببين مهمين هما:

الأول: ابتعادها عن القرآن الكريم، وعن كل ما به من تعاليم إنسانية.

الثاني: عدم قدرتها على رد هجمات الأعداء العسكرية والثقافية، وبالخصوص الهجوم الشرس على القرآن الكريم.

---

(١) حياة محمد، محمد حسين هيكل، ص ٢٩ -٣٠.

اسباب إثارة الشبهات على التشيع

لقد حظي التراث الشيعي باهتمام المستشرقين إما كفرقة، أو كحدث تاريخي فقد كتبت العديد من الكتابات حول موضوع الشيعة، وما يتعلق بهم، وهي بحق دراسات كثيرة[١] حتى قال عنها الدكتور عبد الجبار الناجي في كتابه (التشيع والاستشراق): (لم يدر في خلدي في بداية الأمر حين شمرت عن ساعدي، وجمعت أدوات بحثي، ومعداته لأرسم مخططاً لمفرداته الدقيقة، بأن تكون إسهامات المستشرقين عن التشيع، وعن سير أهل البيت بمثل هذه الكثافة، والتركيز نوعاً، وكماً...)[٢].

لكن ما يميز هذا النتاج وبشكل عام إنه أتسم بعدم الانصاف، وعدم الدقة وعدم الموضوعية بالتعامل البشري مع الحوادث والنصوص، ذلك بسبب اعتمادهم على التراث الحديثي السني الذي سيطرت عليه الأيديولوجيا السلطوية الحاكمة[٣] بما حوته من مرويات موضوعة، وأحاديث، وقصص محرفة، فكانت هذه

(١) بغض النظر عن محتواها، وأهدافها.

(٢) التشيع والاستشراق، عبد الجبار الناجي، ص ١١.

(٣) كالأيديولوجيا الاموية، وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان واضع أسس مدرسة الدس والتزوير والوضع والتحريف.

الروايات المنطلق لجملة من المستشرقين الذين فرحوا بها، وأصبحت محركاً لهم للطعن، والتشويه حجتهم في ذلك أنها من داخل المنظومة الإسلامية، فتمسكوا بها، بل وزادوا عليها بحسب ما يخدم مصالحهم وأهوائهم.

نعم، إنهم وبدراستهم لمذهب التشيع كان هدفهم إبراز الهوة العميقة بين الفرق الإسلامية، وزيادة الشرخ الموجود بالأساس؛ لأن ذلك يخدم سياستهم الاستعمارية. لكن بعضهم درس مذهب التشيع بعد أن تيقن بأن هذه الفرقة الإسلامية قد تم إقصاءها عن عمد، (إن هذا النفر منهم قد وصل إلى نتيجة مفادها ضرورة إقصاء المؤلفات السنية لكل من يريد التدوين التاريخي عن العقيدة الشيعية)[١].

وعلى كل حال فإن المؤلفات الاستشراقية لم تنصف الشيعة، ولم تكتب عنهم بمنهج علمي خالٍ من الأهواء، أو الميول، أو المؤثرات.

ونحن نقول وبكل ثقة: إنّه لا يوجد أي مؤَلَّف استشراقي يخلوا من الملاحظات، والمغالطات عن مذهب التشيع، وعن سيرة أهل البيت عليهم السلام.

(١) التشيع والاستشراق، عبد الجبار الناجي، ص١٧.

في الوقت الذي يرفض أغلب المسلمين (سنة وشيعة) مناهج أغلب[1] المستشرقين، وبالخصوص ـ طبعاً ـ الطاعنة في الدين الإسلامي (عقيدة وشريعة)، ويرفض الشيعة ـ على وجه الخصوص ـ كثيراً من الانتقادات التي وجهها المستشرقون إلى المذهب الشيعي . أن أغلب هذه الانتقادات جاءت من اعتمادهم على المصادر السنية فقط في فهم وقراءة الفكر الشيعي.

فمثلاً: في قضية الغدير، حيث أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد نص على أن خليفته في المسلمين من بعده هو علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خم. رغم ذلك نجد أنّ (مارجليوث)[2] في كتاب (محمد وظهور الإسلام. ١٩٠٥م) يستبعد مثل هذه التوصية. كما ونجد (بروكلمان)[3] في كتاب (تاريخ المسلمين. ١٩٣٩م) يجري على نفس المنوال. وكذلك (جولدتسيهر)[4] الذي أورد رواية خم بصيغة التشكيك.

الشبهة

(١) الأغلب وليس الكل.

(٢) ديفيد صمويل مارجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠م) مستشرق انكليزي، عمل قساً في كنيسة انكلترا، ثم أستاذاً لتدريس اللغة العربية في جامعة أكسفورد.

(٣) كارل بروكلمان (١٨٦٨- ١٩٥٦م).

(٤) اجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠- ١٩٢١ م) مستشرق يهودي مجري.

يمكن اعتبار القرن الثاني عشر الميلادي[1] - تقريباً - بداية معرفة أوربا[2] بالمذهب الشيعي كعقيدة وتنظيم سياسي وذلك بالتزامن مع الحملات الصليبية زمن (الدولة الفاطمية)[3]، إلا أن الأخبار عن الشيعة صيغت بكثير من الخلط، والتعميم، وعدم الفهم العام، مع وجود التأثير الأيديولوجي السياسي على طبيعة تلك الكتابات.

فمثلاً نجد أن (وليم الصوري)[4] والذي يعتبر أهم مؤرخي الحملات الصليبية في القرن الـ(١٢م) قد نسب إلى الشيعة الاعتقاد بأنّ علياً هو نبي الإسلام الحقيقي، لولا أنّ الملاك جبرائيل أخطأ

(١) بحسب بعض ما ورد من نظرية تاريخية حول ذلك.

(٢) أو العالم الغربي كما يحلو للبعض تسمية ذلك.

(٣) الدولة الفاطمية، أو الخلافة الفاطمية، أو الدولة العبيدية، هي إحدى دول الخلافة الإسلامية، والوحيدة بين دول الخلافة التي اتخذت المذهب الشيعي (الإسماعيلي) مذهباً رسمياً لها، تأسست سنة (٩٠٩ م) وانتهت سنة (١١٧١م).

(٤) وليم الصوري (١١٣٠–١١٨٥م) مؤرخ صليبي، رئيس أساقفة (صور) و(القدس)، مستشار الملك (بلدوين الرابع) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية، ولد في بيت المقدس من أسرة ذات أصول فرنسية أو إيطالية.

وأوصل الرسالة إلى محمد[1].

وسار على هذا النهج (يعقوب دي فيتري)[2] الذي تسنم منصب مطران عكا فيما بين (١٢١٦- ١٢٢٨م) والذي روج فيما كتبه من كتابات إلى: أنّ علياً كان نبياً مرموقاً تكلم إليه الله كتقدير تمييزي عن النبي محمد[3].

وكذلك ما روجه المنصّر الشهير (ريكولدو ديمونتو كروس)[4] بأنّ الشيعة يعتقدون بأنّ محمداً اغتصب حقوق عليّ. واعتبر (ريكولدو) أن أتباع علي يحتفظون بقدر من اللطف وأنّهم أقل شيطنة من الأغلبية السنية. وكذلك أمثال دعوات (ريكولدو)

(١) كان سبب تأكيده على هذا الادّعاء هو وجوده في الكتب السنية التي أخذوا منها بدون تحليل أو تمحيص، علماً إن إثارة مثل هكذا مسائل (تفريقية) تفيد المستعمر الذي رفع شعاره المشهور (فرق تسد) وفق منهج (تلفيقي) بكل معنى الكلمة.

(٢) يعقوب دي فيتري (١١٧٠- ١٢٤٠ م) مؤرخ وقس ولاهوتي كنسي فرنسي الأصل.

(٣) يراجع كتاب: الشيعة في المشرق الإسلامي تثوير المذهب وتفكيك الخريطة، عاطف معتمد عبد الحميد.

(٤) ريكولدو ديمونتو كروس (١٢٤٣-١٣٢٠م) راهب دومنيكي إيطالي ومبشر شديد الخصومة على الإسلام، له كتاب (تفنيد آيات القرآن).

المعادية الكثير، فقد تزامنت مع دعوات كثيرة على هذه الشاكلة المعادية للإسلام، نذكر من ذلك على سبيل المثال دعوات (رايمون لول)[١] و(بطرس بسكوال)[٢].

كما ونجد جملة من المستشرقين والكتاب الغربيين يعتبرون أن الأفكار الشيعية وبالخصوص بعض الفرق المحسوبة على الشيعة[٣] انتحالاً للأفكار الوثنية الإغريقية والفارسية القديمة.

إن الدبلوماسي الفرنسي (جوزيف آرثر غوبينو)[٤] الذي خدم

---

(١) رايمون لول أو باللفظ الخاص الصحيح (رايموندوس لولوس) (١٢٣٠-١٣١٥م) فيلسوف كتالوني، أنضم إلى رهبنة الفرنسسكان، انكب على دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية قاصداً من وراء ذلك دعوة المسلمين إلى المسيحية، له كتاب (الفن الأكبر) الذي حاول فيه أن يدافع عن المسيحية ضد الإسلام، وانتقد فيه فلسفة ابن رشد.

(٢) بطرس بسكوال (١٢٢٧-١٣٠٠م) لاهوتي اسباني، له كتاب (الفرقة المحمدية).

(٣) الفرق المغالية، والمهرطقة.

(٤) جوزيف آرثر دي غوبينو (١٨١٦- ١٨٨٢ م) أديب وديبلوماسي فرنسي اشتهر ببحوثه ودراساته حول الشرق، حيث جمع بين الشعر والصحابة والرواية والفلسفة، وأبرز نتاجاته الفكرية (التفاوت بين الأجناس البشرية) والذي تأثر به أصحاب نظرية العنصرية الجرمانية، وله روايات ومذكرات عديدة منها (الثريا) و (قصص آسيوية) و (جدة وعدن ومسقط ثلاث سنوات في آسيا ١٨٥٥- ١٨٥٨ م) ترجمة:

كدبلوماسي فرنسي في طهران بين (١٨٥٥)و(١٨٥٨م) قدم معلومات جديدة للغرب ليس فقط عن الانشقاق السني الشيعي كما صوّره هو، بل عن الاتجاهين الرئيسيين بين علماء فارس: (الإخباريين) و(الأصوليين) أي منظومتي (النقل والعقل)، وهي فروقات أرجعها لأسباب اجتماعية قبل أن تكون دينية بحسب مدعاه.

كما وقد كتب (الفرد فون كريمر)[1] في عام (١٨٦٨م) عن التعصب المفرط للشيعة وعدم تحملهم لغيرهم من أتباع الطائفة المحمدية.

وكتب (كرا دي فو) بعد ثلاثين سنة من تاريخ كتابة (كريمر) أنّ الشيعة لديهم تفكير ليبرالي حر، ويكافحون في مواجهة العقلية السنية المتحجرة ضيقة الأفق. وأن العزلة التي يعيشها الشيعة تنبع من خوفهم من الاحتكاك بالآخر نتيجة نجاسته.

مسعود سعيد عمشوش. أقام في إيران مدة خمس سنوات وكان مسؤولاً في السفارة الفرنسية بمدينة طهران.

(١) الفرد فون كريمر (١٨٢٨-١٨٨٩م) مستشرق نمساوي، ألماني الجنسية، كان قنصلاً في مصر وبيروت.

كما ونجد الإدارة البريطانية وفي سبيل تدعيم مكانتها الاستعمارية في الهند، قامت في (كلكتا) بنشر كتاب (شريعة محمد- ١٨٠٥م) وجاء هذا الكتاب عن مصادر شهيرة للشيعة الاثني عشرية، وأهم ما اعتمد عليه هذا العمل كتاب (تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية) وكتاب (إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان) للعلامة الحلي[1]، وقد قام باختيار النصوص الضابط الإنكليزي (جون بيلي) الأستاذ في الشريعة الإسلامية واللغة العربية والفارسية، وقد سعى (بيلي) إلى نشر عدد واسع من الأسس الشرعية للشيعة الإمامية.

فيما بعد نشرت دراسات مقارنة بين الشريعة لدى المذهب الحنفي والاثني عشري. ولم يكن الأخير سوى مختارات من كتاب (تحرير الأحكام) المتعلقة بأمور الزواج والطلاق والرق والهبات والعطايا والوقف والمواريث. كما وتمت ترجمة كتاب (حياة القلوب) من الفارسية إلى الإنكليزية، وهو كتاب يتناول سيرة النبي الأكرم ﷺ كتبه العلامة الشيخ المجلسي[2].

(١) الحسن بن يوسف بن المطّهر الحلي المعروف بالعلامة الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ).

(٢) محمد باقر المجلسي (١٠٣٧-١١١١هـ).

لقد اعتمد (الوهابية) بشكل خاص ، و من سار وفق ركابهم - طمعاً - في نسبة قرآن خاص بالشيعة ، و ان فيه سورتين لا توجدان في القرآن المتداول هما (النورين) و (الولاية) إلى كتاب اسمه (دبستاني مذاهب) لمؤلف زرادشتي ، و يرجح ان الكتاب (دبستاني مذاهب) ظهر في القرن السابع عشر أو الثامن عشر ، و قد لاقى هذا الكتاب اهتمام الانكليز و منهم (السير وليم بترورروث بيلي) المسؤول في حكومة الهند البريطانية ، و الذي قام بتحقيق و ترجمة و طباعة و نشر الكتاب ، حتى اصبح من أهم المثالب على مذهب التشيع .

ان التاريخ أكبر شاهد على وحدة المنابع ، ذلك ان (الوهابية) صناعة انكليزية بامتياز ، صنعها (المستر همفر) و (المستر فيلبي) و (السير لورنس) لتكون وبالاً على الدين الإسلامي . فالدستور انكليزي ، و الدعم انكليزي ، و المؤسس هو (محمد بن عبد الوهاب) عميل انكليزي[١] .

ولا يخفى دور شركة الهند البريطانية في الهند في إخراج

(١) للمزيد عن (دابستاني مذاهب) يراجع كتاب : الإمام علي و اشكالية جمع القرآن و دراسات المستشرقين ، عبد الجبار ناجي ، ص ١٤٥ ـ ١٩٢ .

كتاب (الدبستان) إلى النور ونشره بصورة كبيرة والترويج له[١]. مضافاً له اهتمام المستشرقين به كونه مادة خصبة للطعن بالإسلام والتشيع بشكل خاص[٢]. فأثاروا مواضيع متعددة في كتبهم و دوائر معارفهم حول تحريف الشيعة للقرآن[٣] . كل ذلك شكل المعين للوهابية و من لف لفهم ، و من سار على ركابهم في معاداة الشيعة ، موافقة و مواكبة لدوائر الاستعمار العالمي و اعداء الدين الإسلامي .

اسباب إثارة الشبهات على كتاب نهج البلاغة

لقد أُثيرت حول كتاب نهج البلاغة شبهات كثيرة ـ قديماً و حديثاً ـ هدفها التشكيك في نسبة هذا الكتاب ، و هذه الشبهات المثارة ـ تقريباً ـ لها أصل واحد ، إذ أنها قد زرعت في أواخر القرن السابع على يد ابن خلكان[٤] (ت ٦٨١ هـ) صاحب كتاب (وفيات

(١) م ، ن ، ص ١٦٣ ـ ١٦٩ .

(٢) م ، ن ، ص ١٦٩ ـ ١٧٨ .

(٣) م ، ن ، ص ١٩٣ ـ ٢٤٠ .

(٤) إن سر تسمية ابن خلكان كما تورد المصادر التاريخية هو : ان الرجل كان كثير الافتخار بأجداده ، فيُكثر من قوله : (كان أبي ، كان جدي ، كان أجدادي) ، فكان يقال له : (خَلِّ كان ، و تكلم عن نفسك) إلى أن أصبحت لقباً له . و قد نقل ذلك

الأعيان)[1] و الذي مهد بتشكيكاته على كتاب (نهج البلاغة) الأرضية للذين طعنوا بنهج البلاغة من بعده ، تبعه على ذلك كلٌ من اليافعي[2] (ت ٧٦٨ هـ) صاحب كتاب (مرآة الجنان)[3] ، و ابن تيمية[4] (ت ٧٢٨ هـ) في كتابه (منهاج السنة)[1] ، و ابن العماد

ابن العماد الحنبلي في شذراته عن أحد مشايخه : و من إفاداته أن لفظ ابن خلكان ضبط على صورة الفعلين خل أمر من التخلية و كان الناقصة قال و سببه أنه كان يكثر قول كان والدي كذا كان جدي كذا كان فلان كذا فقيل له خل كان فغلبت عليه . شذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي ، ج٨ ، ص ٤٢٢ . و ابن خلكان برمكي الأصل ، فهو القائل عن يزيد بن معاوية بعد أن جمع اشعاره في ديوان : و كنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به ، و ذلك في سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة بمدينة دمشق ... و شعر يزيد مع قلته في نهاية الحسن . وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ٣٥٤.

(١) ج٣ ، ص ٣١٣.

(٢) ابو محمد عبد الله بن اسعد اليافعي اليمني المكي (٦٩٨ ـ ٧٦٨ هـ) .

(٣) ج٣ ، ص ٥٥.

(٤) ابن تيمية : تقي الدين أحمد الحراني الدمشقي الحنبلي (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) ، أصله غير عربي ، كان معادياً للصوفية و الشيعة بسبب و بلا سبب ، و كان من أشد النواصب لمذهب التشيع ، و هو أول من أفتى بحرمة زيارة قبر النبي محمد ﷺ ليقطع الطريق على كل زائر ، و عد السفر إلى زيارة قبر النبي ﷺ عملاً محرماً يجب إتمام الصلاة فيه ، و هذه الآراء التي أطلقها اعتمدتها الحركة الوهابية و أحلت بفتاوي أبن تيمية هدم قبور الصالحين.

الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) في كتابه (شذرات الذهب)[٢] ، و الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في كتابه (ميزان الاعتدال)[٣] ، و ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) في كتابه (لسان الميزان)[٤] ، و القنوجي[٥] (ت ١٣٠٧ هـ) في كتابه (أبجد العلوم) .

و هنا نورد ذكر بعض هذه الادعاءات و التشكيكات المثارة حول نهج البلاغة و التي منها :

١ـ قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضى : (وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب هل جَمَعَهُ أم جَمْعُ أخيه الرضي وقد قيل : إنه ليس من كلام علي ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه ، والله أعلم)[٦] .

---

(١) منهاج السنة ، ابن تيمية ، ج٨ ، ص ٥٥ .

(٢) شذرات الذهب ، ج٣ ، ص ٢٥٧ .

(٣) ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص ١٢٤ .

(٤) لسان الميزان ، ج٤ ، ص ٢٢٣ .

(٥) محمد صديق بن حسن القنوجي البخاري الهندي (١٢٤٨ ـ ١٣٠٧ هـ) المعروف ايضاً بـ(محمد صديق خان) .

(٦) وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ج٣ ، ص ٣١٣ ، و عقيدة ابن قتيبة ، العلياني ، ص ٩١ .

و قد اعترف سليمان بن صالح الخراشي بهذه الحقيقة في تحقيقه لكتاب (تشريح شرح نهج البلاغة) حيث قال : قال ابن خلكان و هو أول من شكك في نسبة الكتاب عند ترجمته للشريف المرتضى[١] .

و يقول السيد (عبد الزهراء الحسيني)[٢] عن ادعاءات ابن خلكان : (وليته دلّنا على واحد من أولئك الناس الذين اختلفوا في جامع نهج البلاغة ، وليتك أخي القارئ تعثر لنا على واحد من أولئك الناس في الكتب المؤلفة قبل "وفيات ابن خلكان" وما أكثرها في هذا الوقت)[٣] .

كما و يقول الاستاذ (زكي مبارك)[٤] عن الشريف الرضي : (أما ضمير الشريف فهو عندي فوق الشبهات ، وأما اتهامه بالكذب على أمير المؤمنين في سبيل النزعة المذهبية فهو اتهام مردود ، ولا

(١) تشريح شرح نهج البلاغة ، ص ٨.

(٢) السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب (١٩١٩ ـ ١٩٩٣ م) .

(٣) مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ج١، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٤) الدكتور زكي عبد السلام مبارك (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢ م) .

يقبله إلا من يجهل أخلاق الشريف)[١].

٢ـ قال الذهبي: (من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي؛ ففيه السب الصراح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين، جزم بأن أكثره باطل)[٢].

٣ـ قال ابن تيمية: (وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على عليٍّ، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف)[٣].

٤ـ أما ابن حجر العسقلاني، فيتهم الشريف المرتضى بوضعه، ويقول: (و من طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي .. وأكثره باطل)[٤].

واستنادًا إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا

---

(١) عبقرية الشريف الرضي، زكي مبارك، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي، ج٣، ص ١٢٤.

(٣) الإمامة و السياسة، ج٢، ص ٢٠.

(٤) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ج٤، ص ٢٢٣.

الموضوع ، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي[1] .

ويمكن لنا تلخيص أهم ما أورده القدامى والمحدثون من مطاعن أثيرت على كتاب (نهج البلاغة) ، و ذلك للتشكيك به و بصحة نسبته للإمام علي (عليه السلام) بما يأتي[2] :

١ـ خلوه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه ؛ متنًا وروايةً وسنداً .

٢ـ كثرة الخطب وطولها ؛ لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين ، مع أن خطب الرسول (صلى الله عليه وآله) لم تصل إلينا سالمة وكاملة ، مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام .

٣ـ رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير الإمام علي (عليه السلام) وصاحب النهج يثبتها له .

٤ـ اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ، و التي تنافي ما عُرف عنه من توقيره لهم ، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ(الشقشقية) التي يظهر فيها

(١) مختصر التحفة الاثنا عشرية ، الألوسي ، ص ٣٢ .

(٢) ينظر : دراسة حول نهج البلاغة ، محمد حسين الحسيني الجلالي ، و ما هو نهج البلاغة ، هبة الدين الشهرستاني .

حرصه الشديد على الخلافة ، رغم ما أشتهر عنه من التقشف والزهد في الدنيا و حطامها .

٥ـ شيوع السجع فيه ؛ إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف و الذي عرف به عصر الإمام علي (عليه السلام) مع أن السجع العفويّ الجميل لم يكن بعيدًا عن روحه ومبناه .

٦ـ الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وشي العصر العباسي وزخرفه ، ما نجده في وصف الطاووس والخفاش ، والنحل والنمل ، والزرع والسحاب ، وأمثالها .

٧ـ الصيغ الفلسفية الكلامية التي وردت في ثناياه ،والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري ،حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية ،وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين[١] .

٨ـ وجود إضافات و زيادات و (حشو) في هذا الكتاب ، مما قد أضيف أو نُسب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) من أقوال و حكم و كلماتٍ و أشعار .

---

(١) عقيدة ابن قتيبة ، العلياني ، ص ٩٣ .

إن المصادر التاريخية تؤكد على أن جامع كتاب (نهج البلاغة) هو الشريف الرضي (رحمه الله) فقد اهتم بجمع هذا الكتاب من مطاوي الكتب التي كانت موجودة آنذاك ، وكان جمعه في غاية الدقة والأمانة مع الحفاظ على أصل الكلام ، و لم يتصرّف فيه إلّا بالاختصار وانتخاب الكلام البليغ كما أشار إليه في مقدّمة (نهج البلاغة) من أنَّه يورد النكت واللمع ولا يقصد التتالي والنسق ، ومع هذا كرّر بعض الخطب والحِكَم لورودها بأنحاء مختلفة ، وهذا ممّا يدلّ على ضبطه وحرصه على نقل الكلام بصورته[1] .

ويشهد لكون الشريف الرضي (رحمه الله) هو جامع نهج البلاغة ما يلي :

١ ـ إحالات الشريف الرضي إلى (نهج البلاغة) في سائر كتبه ، من قبيل (المجازات النبوية) ، و (حقائق التأويل) ، و (خصائص الأئمّة) .

قال الشريف الرضي (رحمه الله) في (حقائق التأويل) : (و من أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك ، فلينعم النظر في كتابنا

(١) يراجع لذلك : مقدمة كتاب نهج البلاغة ، تحقيق : هاشم الميلاني ، طبعة العتبة العلوية المقدسة ، ط١ ، ٢٠١١ م .

الذي ألّفناه و وسمناه " بنهج البلاغة " ، و جعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الأنحاء والأغراض والأجناس والأنواع من خطب و كتب ومواعظ وحكم ، و بوبناه أبواباً ثلاثة ، ليشتمل على هذه الأقسام مميّزة مفصّلة ، و قد عظم الانتفاع به وكثر الطالبون له ، لعظيم قدر ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدائعها ، و شرائف الكلم ونفائسها...)[1] .

٢ ـ نسبة الجمع إلى الشريف الرضي الواردة في كتب التراجم أمثال : (رجال النجاشي) ، و (معالم العلماء) لابن شهر آشوب ، و (خلاصة الأقوال) للعلّامة الحلي وغيرها .

٣ ـ سلسلة الإجازات الموصولة إلى الشريف الرضي بطرق عديدة ، وقد ذكرها العلّامة السيّد محمد حسين الحسيني في مقدّمة كتاب (إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين) و الذي هو من تأليف يحيى بن إبراهيم الجحاف اليمني (ت ١١٠٢ هـ) .

٤ ـ الاهتمام البالغ من الكتّاب والمؤلّفين بشرح (نهج البلاغة) والتعليق عليه عبر القرون من دون غمز في جامعه .

(١) حقائق التأويل ، ص ١٦٧.

(٢) و يمكن الرجوع إلى كتابه : دراسة حول نهج البلاغة .

إن جامع (نهج البلاغة) هو الشريف الرضي (رحمه الله) الذي ينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بـ(١٢) واسطة ، جمعه خلال (١٧) عاماً تقريباً ، من سنة (٣٨٢ هـ) إلى سنة (٤٠٠ هـ) .

يحتوي نهج البلاغة على (٢٤٢) خطبة و كلاماً ، و (٧٨) كتاباً و رسالة ، و (٤٩٨) حكمة مفردة . أما شروحه فقد تعددت الأقوال فيها ، نذكر منها :

١ـ بلغت شروح نهج البلاغة (٧٥) شرحاً حسب قول العلامة الأميني[١] (رحمه الله) في كتابه (الغدير)[٢] .

٢ـ و بلغت (١٠١) شرحاً بحسب قول السيد عبد الزهراء الخطيب الحسيني (رحمه الله) في كتابه حول نهج البلاغة[٣] .

٣ـ و بلغت (٢١٠) شرحاً كما ورد في الكتاب الذي ألفه الشيخ حسين جمعة العاملي و الذي يحمل عنوان (شروح نهج البلاغة ٢١٠ شرحاً) .

---

(١) العلامة الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠ هـ) .

(٢) الغدير، عبد الحسين الأميني ، ج٤ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٩ .

(٣) مصادر نهج البلاغة و أسانيده، عبد الزهراء الحسيني ، ج١ ، ص ٢٤٨ و ص ٣١٣

الفهرس